كلمة العدد



أ.د عبد الباري إبراهيم دره
جامعة الشرق الأوسط -عمّان

نادي خريجي المدرسة الفاضلية بطولكرم ... تحية

إنه من دواعي سروري ان أخط هذه الكلمات تحية إجلال واكبار لنادي خريجي المدرسة الفاضلية بطولكرم الذي خرج إلى حيز الوجود عام ٢٠٠٧ يجسد رؤية المؤسسين وطموحهم ليكون نادياً وملتقى يجتمع في رحابه خريجو المدرسة الفاضلية ، تلك المنارة العلمية العريقة، ليتذاكروا فضل المدرسة عليهم ، ويدعموا مسيرتها،وليضعوا الخطط لدعم النابهين من طلبتها وايفادهم في بعثات ليعودوا إلى حضن الوطن يخدمونه ويقدمون عصارة فكرهم وطاقاتهم ومواهبهم.

إن فكرة انشاء نادٍ لخريجي المدرسة الفاضلية بطولكرم ،فكرة رائدة نبعت من قلوب فئة من خريجي المدرسة تؤمن بالتّواصل والتفاعل وتكثيف الجهود لخدمة العلم والمعرفة والثقافة . ولا بد لكل مشروع نهضوي مثل هذا المشروع ان يتولى الريادة فيه نفر مؤمن مخلص للفكرة والمشروع.وهنا يخطر ببالي أسماء أصدقاء اعتز بصداقتهم ويأتي على رأسهم الدكتور فتحي أبو عرجه،والأستاذ منذر حمودة ،والأستاذ عبد القادر حطاب،والدكتور محمد سعيد حمدان، فلهم منى ولزملائهم ولخريجي المدرسة المنارة كل التقدير والثناء.

لقد عرفت فلسطين والأردن مدارس عريقة قامت بدور مرموق في النهوض العلمي ونشر الثقافة والوعي وخرّجت الآلاف من الخريجين ، وهنا أذكر المدرسة الصلاحية في نابلس والرشيدية في القدس،والحسين بن علي في الخليل،وكلية الحسين ورغدان الثانوية والكلية العلمية الإسلامية في عمان ،ومدرسة السلط الثانوية ،ومدرسة اربد الثانوية ،ومدرسة الكرك الثانوية.

وما أحرى بخريجي هذه المنارات العلمية السامقة ان يتنادوا ويؤسسوا نوادي او جمعيات باسمها تجسيداً لوفائهم لها،وعرفاناً بفضلها عليهم ودعماً لجهودها التربوية وطلبتها المتفوقين.

ان مجتمعنا العربي المعاصر في أمس الحاجة إلى وجود هذا المنظمات الأهلية التي تدعم العلم والعلماء. لقد عرف أجدادنا أمثال هذه المنظمات والمدارس فأوقفوا عليها الأوقاف لتستطيع ان تنهض برسالتها. وما أحرانا نحن في مجتمعنا العربي المعاصر ان ندرس ما يقوم به خريجو الجامعات الغربية (ALUMNI)في الالتقاء سنوياً عندما تقام حفلات التخريج ورصد الأموال الوفيرة وإنشاء الصناديق (Funds) لدعم البحث العلمي في جامعاتهم.

إن إنشاء مثل هذه المنظمات او النوادي او الجمعيات تتطلب جهوداً يتشارك فيها خريجو المدارس التي سبق وذكرت بعضها وإدارات المدارس.وهذا لن يكون إلا بتوفر قيادات واعية تمتلك رؤية طموحة،وتؤمن بأهمية التواصل والتفاعل بين خريجي تلك المدارس ،وتسعى لرفع العلم وأهله وتضع البرامج العملية لإخراج الفكرة لحيز الوجود.

تحية إجلال وإكبار لنادي خريجي المدرسة الفاضلية بطولكرم وللقائمين عليه.وخريجي المدرسة الكبيرة ومن أسهم في بنائها ورفع سمعتها من المديرين والاساتذه الذين لقوا وجه ربهم ومن هو على قيد الحياة وصدق الله العظيم حين قال :«يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير». وقال « فأما الزبد فيذهب جفاءً،وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» . صدق الله العظيم .

ثلاث مقالات في واحدة



سكرتير التحرير
عبد القادر حطاب/خريج الفاضلية ١٩٥٥

عناوين هذه المقالات مختلفة، وربما تكون متباينة، غير أنها من حيث المضمون والمحتوى والهدف تلتقي في نهاية مطافها في مجرى مشترك،وتصب في نهر واحد نسال الله ان تكون مياهه عذبة ورائقة.

بستان الصدى

استنادا إلى مقولة «رضى الناس او «كل الناس» غاية لا تدرك» وانطلاقا من قاعدة «ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه» فان صدى الفاضلية ستستمر ،إذا اذن الله ، بالصدور رغم ضعف الإمكانات ومواجهة بعض الصعاب التي يتمثل أبرزها وأظهرها بضعف التعاون او التقاعس عن دعمها ماديا أو معنويا بشكل دائم وبصورة جادة،رغم توافر المؤهلات والكفاءات والإمكانات لدى عدد غير قليل من أبناء الفاضلية في كل حقل وفي كل تخصص وميدان ،وقد يرجع ذلك إلى اقتناع هؤلاء او أولئك واعتمادهم على ان من يقوم بهذا العبْ او الواجب ،وهو عدد جد محدود، يقع في باب فرض الكفاية الذي اذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

ونحن اذ نتصدى لهذا العمل او هذه المهمة نسأل الله ألا يتسرب الملل او اليأس او الإحباط إلى نفوس هذا النفر وان لا تقعدهم عاديات الزمن كالشيخوخة او المرض او ما بعده عن اداء هذه الرسالة وحمل تلك الأمانة.

هذه المقولة ،وتلك القاعدة المتعارف عليها والمأخوذ بها لاسيما عند من يتصدون للعمل العام والتطوعي ،ويتبرعون بجهدهم ووقتهم ،وربما مالهم للخدمة الإنسانية والعامة فيها حث وتشجيع ،وربما عزاء وتسرية لمن يعمل ويضحي، او يحاول ويجتهد كي يستمر في عطائه وبذله وان لم يتحقق كل ما يبتغيه، وأن يثبت في موقعه وان لم يبلغ كل ما يتمناه.

لحكمة بالغة خلق الله الخلق مختلفين في اشكالهم وألوانهم وطبائعهم، متفاوتين في قدراتهم ووعيهم وإدراكهم ،متباينين في تفكيرهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم ورؤاهم ... الخ.

وهذا كله فيه رحمة بالبشر وببني الإنسان الذي خلقه الله تعالى كي يعمر الأرض ،ويصنع التقدم والرخاء،ولو شاء «ربك لجعل الناس امة واحدة».

نحن في صدى الفاضلية لا نزعم ،وما زعمنا أن كل ما يكتب فيها او يُنشر يلاقي هوىً او قبولاً لدى جميع قرائها او الغالبية العظمى منهم ،ولكننا نزعم وبحق، بل نقرر ،بأن صدى الفاضلية أشبه ما تكون ببستان كثير الشجر،متنوع الثمر، فالشجرة التي لا تعجب «س» من الناس قد تعجب «ص» اذ يرى فيها الثاني ما لا يراه الأول ،والثمرة التي لا تروق «ع» من الناس ولا يستسيغ طعمها او مذاقها قد تروق «غ» من الناس الذي يرى أن طِعمها لذيذ ،ومذاقها حلو ، وهذا التمثيل قد يكون صحيحا وصائبا الى حد بعيد، وعليه فلكل قارئ ان يختار او ينتقي من بستان الصدى ما يعجبه ويتفق وميوله،وان يدع ما لا يعجبه او لا يتفق مع رغباته وميوله الى غيره الذي قد يرى فيه نفع كبير وفائدة عميمة ،وحيث أننا متفقون بأن أذواقنا ومشاربنا ورؤانا غير متشابهة وربما متباعدة فان احكامنا ستكون وبالضرورةٍ غير متطابقة وربما متناقضة.

ان ما أوردناه سابقا ليس الا رأيا او وجهة نظر، تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب ،وهذا لا يعني اننا نحجُر علي رأيٍ او حق في التعبير ،أو نقمع أو نصادر فكرة مخالفة او اتجاها مغايرا،ونحن لانوصد الباب في وجه من ينتقد او يختلف ،نحن مع النقد وان قسى،ومع الحرية في الرأي والاختلاف وان طغى،نحن نرحب بالنقد ونطلبه ، لأنه ان غاب لن يكون هناك تقدم او تطور ،وبدونه لن نحرز نجاحا ولن نحقق غاية ،ولن نجني فائدة او نصل إلى هدف .

جمعية الحنونة ،ونادي الفاضلية توأمها

هما تؤامان وان كان كل منهما ولد منفصلاً عن الآخر وبعيداُ عنه،وعلى خلاف التوائم ولد كل منهما في زمن غير الذي ولد فيه الآخر ،وفي ظروف غير متشابهة ، فالحنونة تأسست رسميا في عمان عام ١٩٩١ بترخيص من وزارة الثقافة الأردنية ،ونادي خريجي المدرسة الفاضلية تأسس في عمان أيضا ولكن عام ٢٠٠٧ وبترخيص من وزارة الداخلية الأردنية .

ورغم المسافة الزمنية التي تفصل بينهما من حيث التأسيس، وعدم الاتصال أو التنسيق المسبق فيما بينهما،فانهما يلتقيان في الأهداف ويتحدان في الغايات وان اختلفت الوسائل والأدوات .فالهدف واحد،والغاية مشتركة وهذه "الأهداف والغايات" في مجملها او مجموعها ثقافية واجتماعية ووطنية لا تخلو من صبغة إنسانية، تصب جميعها في نهاية المطاف في نهر قضيتنا الأولى وقضية العرب والمسلمين أجمعين ،قضية فلسطين.

الحنونة، ونادي الفاضلية متفقان من غير اتفاق، ودونما ترتيب شفوي او مكتوب. فالحنونة مثلاً وكذلك النادي ،لا تدّعي ولا تزعم ،ولا يجوز لها ان تفعل،ولا تضع ضمن برامجها او خططها او نشاطاتها انها ستقوم بتطهير القدس واسترداد الأقصى والقيامة،او تحرير فلسطين او اقامة الوحدة العربية ،ولكن المهمة الأساسية والمشتركة لهذين الكيانين او المشروعين :حماية التراث من السطو والسرقة، والعبث والضياع ،بكل السبل ،والتمسك بالهوية وبمكوناتها ومفرداتها وعناصرها ،وعدم التفريط فيها ،وحراسة ذاكرة شعبنا وأجيالنا لتظل حية ومتجددة،التواصل بين الأجيال،توثيق الصلات بين ابناء شعبنا وربط الأجيال اللاحقة بالأرض وبالشعب وتذكيرهم بأرضهم ووطنهم ،والتفاعل مع بعضهم والعمل معاً من اجل هدف واحد .

والحنونة والنادي لا يشتغل أي منهما بالسياسة ،بمعنى ان أيا منهما لا ينتمي لحزب سياسي ،او انه ذراع له،ولا يرتبط بتنظيم، ولا ينضم او يلتحق بجماعة او فصيل، وهو بالتالي لا يؤيد فئة، ولا يعارض اخرى، ولا ينتصر لجماعة، ولا يكون طرفاً في الصراعات والخلافات التي تشهدها الساحة رغم ما يعنيه من أمرها.

والحنونة والنادي يتمسكان بثوابت ومبادئ مشتركة،لا يجوز التخلي او التنازل عنها او المساس بها ومن أهمها:-

- ان تحرير فلسطين قادم وحتمي،ان لم يكن اليوم فغداً او بعد غد، وان لم يكن على يد هذا الجيل فعلي يد الجيل القادم أو الذي يليه.
- ان فلسطين التي نعرفها ونتحدث عنها حدودها معروفة وثابته عرضها البحر والنهر وطولها رأس الناقورة ورفح.
- ان حق العودة مقدس ،ولا يملك أحد مهما كانت صفته وأيا ما كان موقعه ان يساوم عليه،وسنحتفظ بهذا الحق ونتشبث به لنورثه لا صغر طفل فلسطيني او للأطفال الذين لم يؤلدوا بعد.

من أعماقها صرخت، وبكل قوتها نادت

خطوة جريئة وموفقة، وتصرف صائب وحكيم ، ذلكم الذي أقدم عليه د.فتحي أبو عرجة مدير عام المدارس النموذجية العربية حين دعا السيدة سوسن الصفدي ،ابنة القدس، ومسؤولة التعليم في المدينة المقدسة ،واستضافها لتلقي محاضرة في المدارس بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٣ عن حال التعليم في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ونظراً لخطورة هذه المحاضرة ،ولا أقول أهميتها فقط ، وما أوردته فيها من معلومات وحقائق وأرقام ،ووصف لحال التعليم في القدس كعينة، فانه يتحتم على كل مقدسي ان يدرك هذا الوضع ويعيه ويستوعبه ، لا بل يتحتم على كل فلسطيني وعربي غيور او مسلم مؤمن ان يفعل.

نظراً لخطورة هذه المحاضرة التي لا نظير لها، والتي لا تشبه غيرها، ولما جاء فيها ،قام المنتدى العربي في اليوم التالي بدعوة السيدة سوسن لتعيد هذه المحاضرة، او لعل الأقرب الى الصواب أن أقول لتطلق هذه الصرخة المدوية النابعة من أعمق أعماقها، ولتبعث بنداء واستغاثة ،وتطلب النجدة ربما ممن لا يهمهم أمر ، ولا يعنيهم حال، ولا يخشون وخيم عاقبة ،او سوء مآل.

أعادت السيدة سوسن محاضرتها على نخبة من المثقفين المهتمين بالسياسة، وبالقضية الوطنية وبالشأن العام والذين صدمتهم الأرقام ، وأذهلتهم الحقائق، وفاجأتهم بالمعلومات، فآلمهم حال التعليم في القدس الشريف، واستفزتهم بما عرضت وقدمت، وشدت منهم الأعصاب، وقد بدا لي وكأن الحاضرين يسمعون عن واقع هذا الحال لأول مرة، أو أنهم يعلمون عنه شيئاً يسيراً مما يواجهه ويعانيه ، ولكن غابت عنهم أشياء.

حمدت الله ان لم تفتني محاضرة المنتدى، وان كانت فاتتني محاضرة المدرسة.دخلت القاعة بعد ان كانت السيدة المحاضرة قد أخذت مكانها على المنصة، عرفتها لحظةَ لحظتُها،تذكرتها على الفور، تذكرت أداءها ونشاطها حين كانت طالبة في قسم اللغة الانجليزية في الجامعة الأردنية في ثمانينات القرن الماضي ،كانت متميزة ومتفردة ،تختلف عن سائر زميلاتها وقريناتها، اتزانا ورزانة ووقارا، كانت جادة ومجتهدة وملتزمة،كانت بحق مثالاً للطالبة التي تعرف هدفها وطريقها إليه، وما زادتها الأيام والسنون الا رزانه واتزانا وتميزا، وحملاً وتحملاً للهم العام والمسؤولية الوطنية .



صورة من الجهة الشرقية لطولكرم

بدأت السيدة سوسن محاضرتها او صرخاتها بأن نوهت إلى أنه لا شأن لها بالسياسة، وكأني بها تدفع تهمة عن نفسها اذ ترى او تعتقد بأن السياسة عيب او مثلبة او نقيصه، وما درت ان كل ما جاء في محاضرتها من المبتدأ وحتى المنتهى، ومن الألف إلى الياء ، ما هو الا السياسة بعينها ، لا بل هو صميم السياسة وقلبها وجوهرها ،فألم تكن السيدة سوسن تتحدث عن سياسة التعليم التي تفتق ذهن الاحتلال عن ابتداعها وإتباعها وتطبيقها، وما يترتب عليها وما ينجم عنها من مآس والآم، فان لم تكن هذه سياسة ؟ فما هي السياسة أذن ؟ السياسة والحالة هذه مطلوبة ومرغوبة ،لا بل واجبة ،والحديث فيها وعنها لا يدعو لخجل او حرج.

اما ان كانت تقصد بالسياسة ،الانتماء الى حزب او تنظيم او جماعة او فصيل فهذه قضية أخرى.

السيدة سوسن الصفدي ناشطة، ولكن ليس بالمعنى أو المصطلح والمفهوم الذي يلقيه ويشيعه بيننا وفينا أعداءُ امتنا، هي ناشطة مقدسية، ناشطة فلسطينية،ناشطة عربية وقومية، القدس تجري في عروقها ،وكذلك فلسطين،مجرى دمها.

شعرت من طريقة عرضها انها مغرمة بالقدس ،متيمة بحبها ،تذوب فيها عشقاً ووجدا ،تفتديها بكل ما لديها وباعز ما لديها ،القدس تسكنها ،هي حلمها وهاجسها،تخاف عليها وعلى مستقبلها أكثر مما تخاف على ولدها،شعرت بأن هذه السيدة المناضلة ،المؤمنة بقضيتها وبعروبتها ،الثابتة في موقفها،المنزرعة في ترابها،والمتجذّره في أرضها هي مثل وقدوة لكل من يناضل في سبيل القدس وعروبتها،وفلسطين وحريتها.

ما أن بدأت السيدة سوسن الحديث عن حال التعليم في القدس حتى حبس الحاضرون أنفاسهم ،وفغروا أفواههم ،جحظت عيونهم من هول ما سمعوا بالوثائق والصور والأرقام عن الحال الذي آل اليه التعليم في القدس بشكل خاص ،بسبب السياسة التعليمية المنهجة التي يفرضها الاحتلال ويمارسها يفرضها الاحتلال ويمارسها ويطبقها عمليا ضد أهلنا في بيت المقدس بهدف تهويد المدينة المقدسة او اسر لتها على حد تعبير السيدة المحاضرة.

اما الأساليب والوسائل والمخططات التي يلجأ إليها الاحتلال فهي كثيرة ومتنوعة جهنمية وشيطانية،تهدف إلى تهجير عرب القدس أو طردهم وتفريغ المدينة من أهلها وسكانها ،وبالتالي تهويدها فتكون عملاً وواقعا العاصمة الأبدية لإسرائيل.

كل ذلك يجري ويتم تحت سمع العرب والمسلمين وبصرهم،هم في غفلة من أمرهم،مغيبون عن واقعهم،منشغلون او متلّهون بما لا يفيد ولا ينفع ،سادرون في غيهم وضلالهم ،وكأنّ الأمر لا يعنيهم ،فلا الأقصى أقصاهم ،ولا القيامة قيامتهم.لا القدس قدسهم،ولا الأرض أرضهم ولا الدار دارهم .

أساليب عدونا ووسائلة في طرد أهلنا وتهجيرهم والتضييق عليهم كثيرة ومتنوعة وماكرة، لا تتوقف عند حد، ومن بينها العبث بمناهج التعليم وتغييرها وتشويهها، ومحاولات فرض المناهج الإسرائيلية على المدارس العربية ،ومنها شطب او طمس المعلومات والوقائع التاريخية وتزييفها ،ومنها منع استخدام بعض الألفاظ والمفردات والعبارات والشعارات الدينية والوطنية، ومن بين هذه الأساليب حظر اقامة مدارس جديدة، لا بل ان الاحتلال يمنع إجراء أي صيانة لمباني المدارس القائمة او توسعتها ، فمعظم المدارس في القدس قديمة ومهترئه واغلبها بيوت سكنيه لا ساحة لها ولا ملاعب ولا مرافق ،يضاف الى ذلك ما يعانيه الطالب في ذهابه الى المدرسة ،وفي عودته منها من تأخير متعمد على الحواجز وما يترتب على هذا التأخير، وقد لا يستطيع الطالب الوصول إلى مدرسته أصلا.

أما جدار الفصل العنصري فقد أدى غرضه،وحقق غايته ولو لأمد قصير فمزق الممزق،وقسم المقسم وجزأ المجزأ. وهناك وسائل أخرى وجرائم كبرى يرتكبها العدو ولكن المجال لا يتسع لسردها.

والخلاصة ان التعليم في القدس في خطر ،والقدس ذاتها ومقدساتها في خطر، وفلسطين كلها في خطر ،ومستقبل الأمة العربية ووجودها في خطر.

آمل وأرجو ان تكون رسالة السيدة سوسن الصفدي قد وصلت وآمل ان يتم نشر هذه المحاضرة وتوزيعها على أوسع نطاق.

على صهوة الجرح عُدت.....



هشام المكحل
خريج الفاضلية ١٩٦٢

على صهوة الجرح عدت، تحملني أجنحة الشوق إلى الوطن الأبهى والأطهر ،وقد امتزجت المشاعر.. مشاعر الأسى وأنا، أعبر الجسر تحت حراب العدو،بمشاعر الفرح وأنا أعانق الوطن،وألقي برأسي على صدره الحاني متعبا من قتاد الغربة،وأرتشف رشفة الحياة بعد ظمأ السنين، وأستعيد ما اختزنه العقل،وما احتفظت به الذاكرة نقشاً لا يُمحى ولا يزول.

على صهوة الجرح عدت...وها أنا من أريحا–وقد وطئت الثرى الطهور–أستقل سيارة إلى حمى الروح (طولكرم– عتيل –قاقون) فتمضى بنا تطوي المسافات عبر طريق غور الباذان،والذكريات تجول في خاطري وأنا أمر بالأماكن..قرى ومخيمات ومدائن فهذا الطريق طالما سلكته طفلاً وشاباً– حتى إذا ما مررنا بمخيم نور شمس،وجدت الغراس التي كنا قد غرسناها بأيدينا على جبل أجرد قبالته–في أثناء معسكر صيفي للطلبة في أواخر خمسينات القرن الماضي – قد صارت أيكا وعرينا!!آه من الغربة ..فكم بَعُدنا... وكم كبرنا!!ثم كان اللقاء..بعد نأي دام ستة وأربعين عاما.. وهو لقاء يدق عن الوصف!!!

التقيت طولكرم،ومعها لقيت بعض عمري وانبل الذكريات فالذكريات ،هي الحادي الذي يؤنسنا في وحشة الاغتراب ،وهي الحبل السرّي. الذي يبقينا على قيد الوطن!!لقيتها بكل معالمها وتفاصيلها ، مثلما رأيتها آخر مرة..فهنا سكنا وهنا درسنا ،هنا مشينا وهنا لعبنا ....هنا وهنا...عطلة منتصف العام الدراسي في أوائل شباط / فبراير ١٩٦٧–على أمل الرجوع صيفا!! إذ لم يقع في خَلَدي حينها" أن الليالي من الزمان حبالى" وأن هزيمة ستحيق بالأمة بعد أربعة أشهر فقط من ذلك اليوم،وتقلب حياتنا رأساً على عقب!!!

ثم مضيت إلى الفاضلية ...فولجت محرابها–وقد أضفى عليه ذلك اليوم الماطر بهاءً وجلالا–وأنا اخفف الوطء على أديم أرضها–فعلى كل شبر ذكرى،وفى كل ركن حكاية،وداخل كل فصل مواقف.

أما ماطرا عليها من تبديل،وإن كان قد هالني ،إلا أنه لم يفسد عليّ سعادتي وأنا أجول في ساحتها مع رجع الصدى،فأسمع جَلَبنا،وأسمع نشيد الجزائر تصدح به حناجر الشباب بحماسة في طابور الصباح،وأرنو الى تفاصيل تلك المشاهد الرائعة،وما كانت تحمله من أحلام وآمال، فتعود بي إلى ماض جميل يسكنني..

تعود بي إلى كوكبة من الأساتذة الأجلاء،أذكر منهم– لا تكراراً بل تقديرا وإكبارا–فارس حسين، صبري سليمان، أحمد الطيبي،سليمان ناصيف،راتب العتيلي،عبدالله الهنداوي،صالح عبد الهادي، "الشيخ" حسن عبد الرحمن،حسني عايش،نافع صالح،ثم ذلك المعلم الشاب،المتوهج دائما–علماً وعطاء وروحا–ومازال ،فهو لم يزد على العشرين سوى نصف قرن ونيّف،هو الأستاذ جاسر العموري...فهؤلاء الرواد أثْروا الفاضلية وأثّروا فينا.فلم يقتصر عطاؤهم على العلم والمعرفة، ولا بذلهم على السلوك والتربية... بل قدموا كل ما ينمي عقولنا، وينير بصائرنا، ويسمو بأرواحنا. لقد كانوا لنا هم الصحيفة والكتاب والمذياع والفضاء...وأحيانا هم المنهاج من أجل الفكرة والهدف!!لذا، سنبقى نتذكرهم قامات شامخة صدقوا العهد وصانوا الوعد.. كما سنذكرهم أسلوبا ملتزما في صياغة وعينا الوطني،ومنهجاً رائدا في بناء وجداننا القومي ..فمثلا لا حصراً.....

ها هو الأستاذ فارس حسين– كعادته – يذكي فينا روح التحدي والمقاومة،وقد كنا في الصف الأول الثانوي (العاشر حاليا) للعام ١٩٥٩–١٩٦٠،وكانت جماهير الأمة في حالة نهوض قومي،بينما كانت الأجواء الرسمية العربية ملبدة بغيوم الفرز والاصطفاف.

فروى قصة موقف عن تحدي جبروت الاحتلال وبطشه– ربما أوحى له بها اعتزام شخصية تربوية «أجنبية» زيارة المدرسة–». في أثناء الاحتلال الألماني النازي لفرنسا،أبدى الجنرال الألماني



من اليمين الأساتذة: أحمد البسيوني ، محمد الشيخ ، هشام المكحل ، عقل زقدح

رغبته في زيارة إحدى المدارس الفرنسية،فقامت إدارة المدرسة –بناء على طلب المحتل– بتنبيه التلاميذ الى ضرورة أن يقف أي تلميذ ينظر إليه الجنرال،ويهتف:تعيش ألمانيا!! وبالفعل،حضر الجنرال،ودخل أحد الفصول الابتدائية،ونظر إلى تلميذ يجلس على المقعد الأول،فوقف التلميذ وهو يتميز غيظا،وعيناه في عيني الجنرال،ثم دق الأرض بقدمه وهو يهتف ...تعيش فرنسا!!!فالتهبت أكفنا بالتصفيق....

وتهلل وجه الأستاذ «أبو الفوارس»–لقبه المحبب لدى طلابه– وهو يقول بأسلوبه المعتاد الذي لا يخلو من دعابة "كويس.. يعني افهمتو!».

وهذا الأستاذ عبدالله الهنداوي...دخل الفصل في يوم حزين كئيب –يوم انكسار حلمنا القومي،بجريمة انفصال الوحدة المصرية السورية في ٢٨/٩/١٩٦١ – دخل متجهما حانقا،ثم جلس واجما..فالحدث الجلل أصابه في صميم روحه العروبية الوحدوية الملتزمة– والتي عرفناه عليها فاحترمنا مشاعره وبقينا صامتين ،بالرغم من أننا كنا بانتظاره على الجوى، كي نقف منه على حقيقة ما جرى وكما اعتدناه– ولما انتهى وقت الحصة،وبينما هو يهم بالخروج وقد ناء به الحمل،توقف،وكأنه أحس بما نحن فيه، ثم قال «هل سمعتم خطاب الرئيس عبد الناصر!! ثم أردف ..لقد قال» ليس المهم ان تبقى سورية جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة، بل المهم هو ان تبقى سورية!!نعم، المهم هو أن تبقى سورية...

ثم أتذكر الأستاذ الشيخ حسن عبد الرحمن– هذا الرجلِ الوقور– فأذكر له وقد أورد موقفا هادفا في معرض شرحه بيتا من الشعر الوطني،حيث قال" كان الزعيم المصري سعد زغلول في زيارة رسمية لبريطانيا ،إلى جانب وفود أخرى من دول شتى.وقبيل التقائهم الملك،نبّههم مسؤول المراسم في القصر إلى ان ينحني كل منهم عند مصافحة الملك!!وقد فعلوا ، ما عدا سعد زغلول!!

فاستهجن المسؤول موقفه،ثم عاتبه غاضبا:لماذا لم تنْحن؟!فردّ عليه:لقد حاولت ،لكن عشرين مليون مصري شدوني من ظهري" فلم استطع ذلك!!فصفقنا بحرارة،مما أحدث جَلَبة قوية في جنبات صالة المبنى الرئيس «القديم»!!وإذا بمدير المدرسة الأستاذ عبد الفتاح درويش يأتي مسرعا–وقد سبقه الآذن «ابو العبد» مهرولاً كالعادة– لاستطلاع الأمر!! فأخبر الأستاذ حسن المدير «همسا» بما حدث . فلم يعلّق،بل أشار إلينا بما يعني ...بهدوء!!

أما ابو القاسم / الأستاذ إحسان سمارة–هذا المعلم في نضاله،والمناضل في تعليمه–فهو«تجربة نضالية وحكاية فلسطينية» لا يمكن اختزالها في موقف ،ولا يجوز تأطيرها بمشهد!! بل يجب ان تُروى كاملة كنموذج وأسوة حسنة.. وحسنا فعلت مدينته الحبيبة طولكرم، حين خلّدت اسمه وأطلقته على إحدى مدارسها لتكون «مدرسة إحسان سمارة الثانوية للذكور» ولعله بهذا يكون رَخِيَّ البال مطمئنا،مردداً مع زيتونة فلسطين وابن طولكرم ، أبى سلمى....

من فلسطين ريشتي وبياني فعلى الخلد والهوى يدرجان
من شذا برتقال يافا قوافيها ومنْ سهول طولكرم المعاني

هذا غيض من فيض عطاء أولئك الكبار،ولسوف يظلون منارات تهتدي بها الأجيال....فها هو مديرها الأستاذ محمد الشيخ، ومعه نائبة الأستاذ عقل زقدح وعديد زملائة المعلمين يؤدون الأمانة ويواصلون الرسالة .أقول ذلك ،وقد قضيت بينهم –وبصحبة الأخ والجار النبيل احمد البسيوني – من عتيل – وقتا جميلا ممتعا،زانته حميمية الاستقبال ودفء التحادث عن أيام الفاضلية الخوالي ..ثم

مفاجأة الأخ المدير، إذ اصطحبنا إلى حجرة السجلات،وأطلعنا على نتائجنا في أعوام المرحلة الثانوية... ولعلي لا أبالغ،أن شعورا بالرهبة قد انتابني ،وكأني أتسلم النتيجة لأول مرة!!كما غمرني حبور عارم وأنا استعرض الأسماء...أسماء صحب احتضنتهم الفاضلية وقد أمّوها من كل قرى«القضاء» ثم فرقتهم ظروف الحياة وقد سعوا في مناكب الأرض طلبا للعلم والرزق.فكدّوا واجتهدوا ونجحوا وأفادوا داخل الوطن وحيثما ارتحلوا.وهولاء جميعا تحضرني صورهم،ومعها استحضر ذكريات ما زالت تمنحنا الفرح!!لكن ثلاثة من بينهم استوقفوني وقد أطلّوا من عليائهم بوجوه نضرة. فأنا أعرفهم حق المعرفة.لكنهم مختلفون عنا... هم أيضا بذلوا وأبدعوا،ولكن على طريقتهم الخاصة!!فكانوا هم الأطهر،إذ اغتسلوا بدمائهم الزكية،وهم أقمارنا حين يختنق القمر قهراً،وهم شموسنا حين تنكسف الشمس خجلاً،وهم سنابل قمحنا في الخوابي،نستمد منها خبزنا اليومي مهما طالت عجاف السنين.. أولئك هم الشهداء الأبرار من خريجي الفاضلية ١٩٦٢ منهل شديد (علار)،بشير أبو تمام (وادي الحوارث / مخيم طولكرم)،وفضل أبو صاع(دير الغصون)....

منهل شديد...هذا الشاب الوسيم الحيي النديّ،التقيته آخر مرة أمام وزارة التربية والتعليم في عمان،وقد جئنا لاستخراج كشوف علامات التوجيهي عقب النتائج صيف ١٩٦٢م.فأخبرني بأنه ينوي السفر الى الجزائر –وقد كانت في بواكير أيام استقلالها والتطلع للتعريب–فودعته وافترقنا،ولم نلتق إلا في ٢٦/٣/١٩٦٧ على صفحات إحدى الصحف الكويتية،إذ حملت نبأ استشهاده في عملية فدائية.فكان أول شهيد من جيلنا!!! لقد كان منهل سبّاقا في زرع الفكرة،مثلما كان سباقا إلى الشهادة في سبيلها...

بشير ابو تمام ..بقامته الفارعة ،وسمرته المحببة ،وروحه المرحة،وصوته الجهوري،كان مميزا حيثما حلّ وأينما ذهب.. فهو "الهتّيف" في المباريات ،بشعاره" في الطليعة الفاضلية "وهو السامر لزملائه في جامعة الأزهر وفي معسكر تدريب الفدائيين في أنشاص بمصر، ولما عاد الى الأردن ،شهد معركة الكرامة في ٢١/٣/١٩٦٨ وكان احد فرسانها .فاستشهد وهو يعتلي برشاشه دبابة صهيونية ويكبّر.. ليظل بسيرته واستشهاده حاديا يبعث في الأجيال الأمل...

فضل ابو صاع ... ببنيته القوية ،وجموحة الفطري ، وخفة ظله،وإقباله على الحياة الى حد الموت في سبيلها،كان هو الوحيد الذي يُحرج المدرب في حصة التربية العسكرية ،حيث فشل في كل محاولاته لإسقاط الرشاش عن كتفه او إفلاته من بين قبضتيه،بينما نجح معنا كلنا في ذلك من اول محاولة!!!لكننا حينئذ،لم نكن ندري ان فضل سيبقي قابضا على رشاشه،حتى يواجه الطائرات الصهيونية المغيرة على جبال السلط عام ١٩٦٩ فيغيظ العدى بصموده واستشهاده ،ويشفي قلوبنا وفد حقق ما كان يتحدانا به أيام الفاضلية ،ويقول (إنْتو نحّوا–أي اتعبوا في المذاكرة –بس أنا رايح اطلع أشطر منكم)!!! "فهنيئا لك يا فضل ..فعلاً اطلعت أشطر منا.. وفزت فوزا عظيماً" .

تُرى ،الا يستحق هؤلاء الأبطال وأمثالهم–وهم أروع من فينا– تكريما مناسباً يليق بهم؟!

فهل من مدّكر ..حتى وإن جاء ذلك متأخرا؟!!!

وأظل مع الذكريات.................

فيأخذني الحنين الى عتيل .وعتيل هي الموئل..فعلى أرضها درجت طفولتي ،وتفتحت أحلامي. وفيها ،وعلى يدي «سيدي» الشيخ عبد الرحمن العتيلي–رحمه الله –تعلمت أول حرف وأول كلمة، وأول رقم في الحساب،وحفظت فاتحة الكتاب.وعتيل هذه ،تربطني بها وشائج قربى وصلات نسب ودفْء صداقات.وهي بناسها ومدرستها وأساتذتها،بحاراتها وشوارعها وأزقتها،ببياراتها وعمائرها وحواكيرها،وذكرياتي معها.. تستحق مني بيانا أخصها به وفاءً لها–إذا نسأ الله الأجل –فلا تفيها حقها بضعة سطور....!!!

ثم يشدني الحنان لأطل على مسقط الرأس «قاقون» فهذه الرائعة الصابرة التي تتربع على عرش تلة في قلب السهل الساحلي ،تظل هي عشبة القلب اليانعة أبدا...

فهي أول أرض تنشّقْتُ هواءها،وتفتحتْ عليها عيناي ،وعلى ترابها كانت أولى خطاي،وهي أول خط في الذاكرة ..قاقون، هي إحدى أربعمائة قرية وأكثر،دمرها الصهاينة وجرفوا حجارتها، لكنهم –كغيرهم من الغزاة – لم يستطيعوا إزالة قلعتها وطمس تاريخها.

وسيظل التاريخ يذكر ان هذه البلدة الأثرية التاريخية قد دمرها غزاة مروا عليها ، لكنهم رحلوا ،وظلت قاقون صامدة.ثم جاء الظاهر بيبرس فأعاد بناءها،وجعلها مركزا للبريد وأحد ستة أقضية إدارية في «جند فلسطين» وهي (قضاء غزة، قضاة الخليل ،قضاء القدس،قضاء نابلس ،قضاء اللد، قضاء قاقون).قاقون باقية وقلعتها شاهدة..شاهدة على الغزاة الصليبين وهزيمتهم في حطين ورحيلهم عن القدس .وشاهدة على الغزاة المغول وهزيمتهم في عين جالوت.وشاهدة على نابليون يوم هزمته أسوار عكا.. وعلى غزاة قبل أولئك وبعدهم !! وهي اليوم شاهدة على الغزاة الصهاينة ونازيتهم وعنصريتهم،وغدا سوف تكون شاهدة على هزيمتهم وكنسهم..

نعم ، على صهوة النصر غداً سوف نعود...فتكون العودة الكبرى .. عودة الروح وهي آتية لا ريب فيها ..لأنها مشيئة الله ووعده ،وإرادة الشعب وحقه ،وحتمية التاريخ ومنطقه ..ويومها ،سوف نعبّد– ما بين طولكم وعتيل وقاقون،وما بين كل مدن فلسطين وقراها .من رفح إلى الناقورة –طريقا لعشق الأرض وحب الوطن.....

الفاضليون - وظاهرة هجرة العقول



الدكتور فتحي أبو عرجة
خريج الفاضلية ١٩٦٠

بمناسبة الاحتفال بتكريم د.على نايفه لحصوله على جائزة «بنجامين فرانكلين» في الهندسة الميكانيكية اثار في ذهني ظاهرة هجرة الكفاءات او الأدمغة العربية الى الولايات المتحدة. فالمدرسة الفاضلية كغيرها من مدارس الوطن العربي والجامعات عانت ولا تزال تعاني من هجرة دارسيها إلى ارجاء العالم وبالذات إلى الولايات المتحدة .وكذلك أثارت المناسبة أهمية وضرورة عودة العقول المهاجرة ودورها في المساهمة في تطوير وتحديث، لا بل بتغيير المجتمعات التي هاجرت أو هُجّرت منها لأسباب متعددة ومتنوعة.

لقد تصدت الدراسات والكتب والمقالات والأبحاث التي صدرت عبر السنوات السبعين الماضية لهذه الظاهرة تصف وتناقش وتحلل العوامل والأسباب التي تعيق استيعاب هذه العقول او اعادة تكييفها في الوطن الأم وبالتالي دفعها إلى الهجرة او اضعاف انتمائها لوطنها الذي ساهم بشكل أساسي في تحمل نفقات تعلمهم ورعايتهم حتى وصلوا إلى مرحلة التفكير بالخروج إلى عالم أرحب.وهناك اتفاق عام بين كل الدارسين على ان السبب الجوهري لذلك هو الحالة الاجتماعية ،السياسية والاقتصادية التي تسود الوطن العربي وهي ما اصطلح عليه بحاله التخلف.

واود ان اقرر بداية ان الحالة الاستعمارية والغزو والاحتلال كانت السبب الرئيسي لوضع الوطن العربي في حالته من التخلف والتجزئة والتبعية:

يكاد ان يكون هناك اجماع بين الدارسين لهذه الظاهرة بأن عملية التنمية بكل مقوماتها التعليمية والسياسية والاجتماعية والثقافية يؤثر سلباً على هذه العملية .حتى ان المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة اعتبر ان هجرة العقول من البلدان النامية ينافي الأهداف الأساسية التي بني عليها عقد التنمية .

وفي هذا الصدد قال السيد / ما لكم او ديشيا، نائب المدير العام لليونسكو ان العلماء والمهندسين والأطباء الذين يهاجرون الى العالم المتقدم هم دعامة التنمية وعوامل دفعها. كما ان قيمتهم تتجاوز كل حساب بالدينار!

علاوة على ذلك فهناك شبه اجماع بين علماء الاقتصاد على ضرورة اعتبار هؤلاء العلماء من ثروة الأمة مثل الذهب والنفط والنفائس الأخرى.

ورأى آخرون ضرورة اعتبار هذه الكفاءات ثروة خاصة ومميزة ومعاملتها على هذا الأساس في ميزان التجارة الدولية .في عام ١٩٦٥ عقد مؤتمر دولي في مدينة لوزان بسويسرا حضره نخبة من الخبراء وعلماء التربية والاجتماع والسياسة ناقش هذه المشكلة.وتوصلوا إلى نتيجة أساسية مفادها ان الدول النامية هي الضحية لهذه الظاهرة وعلى العالم دراسة أسبابها ووضع الحلول لها.

وقبل القراءة في أسباب هذه الظاهرة، لا بد أن نقدم تعريفاً لهجرة الأدمغة.إنه وصف لحركة باتجاه واحد للأشخاص والعلماء والمفكرين وغيرهم من الدول النامية إلى الدول الأكثر نموا.ويعرّفها آخرون على أنها هجرة الأفراد المهرة والمتعلمين والمدربين من الدول الأقل نمواً إلى الدول الأكثر نمواً.

إن ظاهرة هجرة الكفاءات او الأدمغة ليست ظاهرة حديثة ولا يختص بها الوطن العربي وحدة ،وإنما هي ظاهرة قديمة تعود إلى بدء الإنسان أو طالبي العلم في البحث عن المعرفة .وظاهرة اجتماعية أملتها ظروف الحياة المتغيرة والمتطورة وأذكاها التقدم الحضاري بين مختلف الأمم على مدى الزمن .وكانت هجرة الطلاب والأساتذة والمهنيين في اليونان الى أثينا أول الهجرات التي سجلها التاريخ البشرى وشهدت مدينة الإسكندرية في العهد البطلمي ظاهرة هجرة اعداد كبيرة من المفكرين والعلماء والفلاسفة من اثينا.

وانشأ المأمون في بغداد دار الحكمة للترجمة والتي استقدمت العديد من الخبراء والمفكرين ومن جنسيات مختلفة للعمل فيها.وفي القرن الحادي عشر أنشئت في مدينة توليدو الاسبانية كلية للترجمة بغرض ترجمة اعمال الفلاسفة العرب إلى اللغات الأجنبية .والذي اقتضى استقطاب العديد من العلماء للقيام بهذه المهمة.

وحديثا قام محمد علي حاكم مصر بإرسال العديد من العلماء والطلاب المصريين الى بلاد الغرب للتعلم ونقل المعرفة والتي على أساسها تم تحديث مصر وتطويرها.

إن دراسة ظاهرة هجرة الأدمغة العربية إلى البلدان المتقدمة لا يمكن ان تتم دون دراسة أسبابها.ويتردد السؤال دائماً لماذا يهاجر العلماء والمهندسون والأطباء وغيرهم؟ ما هي الأسباب والعوامل التي تساعد على حدوث هذه الظاهرة ،ومن ثم نموها من حيث النوعية والتعددية.

بمراجعة الدراسات والأبحاث والكتابات التي تمت للإجابة على هذه التساؤلات تم استقرار الباحثين على فرضية نظرية الطرد والجذب (Push-pull) وانطلقت هذه النظرية من فرضية ان الإنسان بطبيعته يستقر في المكان الذي يولد فيه ويتعلم ويبني علاقات إنسانية ليس من السهل الاستغناء عنها.اللهم الا اذا اضطر لذلك ومن ثم القرار بعدم العودة إليه.

ونظراً لأن العقول العربية المهاجرة تضطر للهجرة، فانني سالقي الضوء على عوامل الطرد دون عوامل الجذب.ومن أهم هذه العوامل، أن النظام العربي الرسمي يشجع الكفاءات على الهجرة للتخلص منها كونها تشكل عنصراً من عناصر التثوير والتغيير والإصلاح وبالتالي تعتبر حمولة زائدة يجب التخلص منها.وان يبدو في الظاهر انه يهتم بهم ويرعاهم ويرغب في عودتهم.إن النظام العربي لم يعمل طيلة العقود الماضية ما يدلل على انه يهتم بذلك ،والدليل على ذلك بقاء أسباب الطرد قائمة بل إنها في ازدياد.

ولخص الأستاذ / الياس زين في بحث نشر في مجلة الشرق الأوسط وجهة النظر العربية للهجرة.وذكر ان أسباب الهجرة تعود للعوامل التالية :

المنافع المادية،ضعف فرص العمل،انعدام الاحترام والتقدير، الاضطرابات السياسية والاقتصادية ،الافتقار إلى التخطيط التربوي والتعليمي ،وانعدام الظروف المهنية،البطالة لذوي المؤهلات العلمية العالية، انعدام فرص البحث والإبداع والتطوير.

وأضيف إلى ذلك الاضطهاد الفكري والعقائدي،وقلة الإنفاق على أدوات البحث،والتفرقة في الفرص المتاحة للمنح والبعثات وعدم خلق حوافز مادية ،اجتماعية ، إنسانية للعلماء بالبقاء ارتفاع مستوى المعيشة والإبقاء على مستوى دخل متدن وتدخل العديد من الأجهزة في اتخاذ قرار التعيين والترقية وغيرها.

إن التصدي لمعالجة هذه الظاهرة لا بد وان يشارك فيها كل الجهات التي تحرص على الحفاظ على الثروة الوطنية ، على اعتبار ان التنمية الشاملة في المجتمع لا يمكن ان تستكمل دون ان يكون لهم دور أساسي في ذلك ،وعليه فأنني أدعو إلى تشكيل لجنة وطنية أردنية –عربية لبحث أسباب الطرد وعوامل الجذب ووضع السياسات التي تشجع العلماء على البقاء أو العودة للوطن.

وانني على يقين ان هذه المقالة ستثير حواراً ونقاشاً جاداً ، وانني اعبر عن سعادتي للتواصل حول هذا الموضوع، عسى ان يكون المقال القادم حول نظرية الجذب ،علاوة على تضمين المقال ملاحظات الأخوة القراء حول ذات الموضوع.

المدرسة العدوية الثانوية للبنات



الدكتور فياض عبد الرحمن فياض
خريج الفاضلية ١٩٥٧

يرتبط اسم المدرسة العدوية الثانوية في مدينة طولكرم برائدة التصوف الإسلامي «رابعة العدوية» ابنة إسماعيل وأم الخير وتاج الرجال ، نشأت في البصرة يتيمة الأبوين من موالي آل عتيك، عاشت ثمانين عاماً وجمعت بين التُقى والعلم والأدب،ماتت محبة وعابدة لله، دفنت في ظاهر القدس على جبل الطور،ولا يزال اسمها نشيداً تتغنى به الأجيال.

لمحة تاريخية :

تأسست المدرسة العدوية الثانوية عام ١٩١٢ أواخر الحكم العثماني لبلاد الشام "١٥١٦-١٩١٧" وكانت المدرسة تسمى حينئذ " مدرسة طولكرم الأميرية للبنات" أطلق الاسم الحالي عليها عام ١٩١٥ وظلت المدرسة ترتقي شيئا فشيئا أثناء فترة حكم الانتداب البريطاني لفلسطين، تلك الفترة التي شهدت نهضة تعليمية متقدمة نسبياً بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ واتحد ما تبقى من فلسطين مع المملكة الأردنية الهاشمية تحت اسم " الضفة الغربية" أما الشريط الجنوبي المسمى بقطاع غزة فقد خضع للحكم المصري المباشر.شهدت الأراضي الفلسطينية في تلك الفترة حركة تعليمية كبيرة كردة فعل للنكبة وازدهرت المدارس وبني العديد والعديد منها كما انتشر أبناؤها المتعلمون في جميع الأقطار العربية يحملون إليها رسالة التعليم .

هكذا ارتقت المدرسة العدوية رويدا رويدا من مدرسة ابتدائية إلى أن أصبحت مدرسة ثانوية كاملة في عام ١٩٥٦ وتخرج الفوج الأول في العدوية عام١٩٥٦-١٩٥٧ م تحت اسم الصف الخامس الثانوي وكان يضم ٢٦ طالبة ،حملت الناجحات منهن شهادة الدراسة الثانوية (المترك) بعد اجتياز الامتحان المذكور. وما يجدر ذكره ان طالبات مدارس طولكرم كن يكملن الدراسة الثانوية في نابلس قبل تلك السنة ، كان مجموع السنوات الدراسية في الأردن (١١) سنة،ولذا كان من يقصد الدراسة في مصر يتقدم هناك لامتحان التوجيهي المصري أي السنة الدراسية الثانية عشرة.

بقي هذا النظام التعليمي في الأردن حتى أوائل الستينيات من القرن الماضي ،حيث تم توحيد سنوات الدراسة في جميع الأقطار العربية لفترة ما قبل الجامعة وأصبحت ١٢ سنة.

الموقع:

تتربع المدرسة العدوية الثانوية على قمة الهضبة الكبيرة المقامة عليها مدينة طولكرم والمشرفة على السهل الساحلي الفلسطيني .كانت المدرسة محاطة بأشجار الصنوبر ولكونها أعلى نقطة في المدينة فقد أقيم الى جانبها خزان الماء الرئيسي الذي يزود طولكرم كلها بالماء.

الأهمية :

نظراً لكون المدرسة العدوية هي المدرسة الثانوية الأولى للبنات في محافظة طولكرم ،ولكونها مقامة في مركز المحافظة-مدينة طولكرم، فقد احتلت منذ تأسيسها مكاناً

مرموقاً، وتضافرت الجهود الخيرة لتزويدها بكل مقومات التميز والشمولية، ولذا أقيم عدد من المرافق المهمة فيها مثل:

الملاعب الرياضية المختلفة لتقام عليها مختلف المباريات الرياضية.

قاعة واسعة للنشاطات المدرسية واللقاءات والدورات التربوية لمدارس ومدرسي المحافظة وتنظيم النشاطات اللامنهجية المختلفة.

قاعة للتدبير المنزلي.

قاعة للمختبرات العلمية.

قاعة المكتبة والمطالعة خاصة بطالبات المدرسة ومعلماتها ومدارس المدينة.

وفي ١٩٩٣ أقيم في المدرسة مركز لتعليم الحاسوب.

إدارة المدرسة :

تعاقب على إدارة المدرسة العدوية الثانوية عدد من المديرات المتميزات القديرات المشهود لهن بالكفاءة وهن على التوالي:

- شمسه سالم ١٩٣٢–١٩٤٨.
- ندى هاشم الجيوسي ١٩٤٩–١٩٦٤.
- ندى يوسف حنون ١٩٦٥–١٩٧٧.
- سلمى سليم الجيوسي ١٩٧٨–١٩٨٦.
- عبله طاهر عواد ١٩٨٧–١٩٩٩.
- عفاف حسن عبد القادر ٢٠٠٠–٢٠٠٥.
- انتصار عيسى خلف ٢٠٠٦–٢٠٠٧.
- وأخيراً وليس آخراً المديرة الحالية السيدة ماجدة شريف القبج. التي تسلمت إدارة المدرسة منذ عام ٢٠٠٨ ولا تزال على رأس عملها

أما طاقم المدرسة فيتكون إضافة للمديرة من نائبة للمديرة وسكرتيرة ونخبة مميزة من المعلمات الكفؤات وعددهن (٣١) معلمة ، إضافة لذلك توجد مرشدة تربوية وأمينة مكتبة.

تضم المدرسة العدوية حالياً (١٦) شعبة مدرسية تشمل الصفوف (العاشر،الحادي والثاني عشر) وحسب إحصائية ٢٠٠٨–٢٠٠٩ كان عدد الطالبات (٧٥٠) طالبة علماً بأن المدرسة كانت تضم عند تأسيسها (١٠٠) مائة طالبة فقط.

ومن الجدير بالذكر ان المدرسة العدوية قد عرفت بتفوق طالباتها على مدار السنين وكان العديد من طالباتها يحصلن على أعلى المعدلات في امتحان الشهادة الثانوية (التوجيهي) وكن يحتللن مراكز الأوائل في الفترة الأردنية وفي عهد السلطة الوطنية الفلسطينية.

رسالة المدرسة :

لما كانت الرسالة الأولى لأي معهد تعليمي كبير وعريق كالمدرسة العدوية،هي الارتقاء بالمستوى الذهني والعقلي والعلمي والثقافي والاجتماعي للطالبات ليكنّ رافداً أساسيا من روافد الارتقاء بالمجتمع المحلي والوطني وتربية الأجيال على حب الوطن وصدق الانتماء لفلسطين وشعب فلسطين حتى يبلغ هدفه الأساسي بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

بذلك يتحقق بعث هذا الشعب الذي أريد له الفناء، لكنه خيّب ظن أعدائه ، فكان دائماً هو طائر الفنيق المتجدد والمنبعث من المعارك ومن تحت أكداس الرماد.



أحد مباني المدرسة العدوية

حلم طفولة فلسطينية



أ.د. بشير الخضرا
خريج كلية الحسين ١٩٥٨

لقد نشأنا وفتحنا أعيننا، كسائر أطفال فلسطين، في جو العدوان الصهيوني على فلسطين. وكانت العصابات الصهيونية قد خططت لاجتياح مدن وقرى فلسطين واحدة بعد الأخرى ،وقد أعدت عدتها من تدريب عسكري، وأسلحة وعتاد ،وخطط محكمة ،للإبادة البشرية في العديد من المدن والقرى الفلسطينية. وكنا نسمع الأخبار عن بطولات المقاومة الفلسطينية من خلال الراديو ومن خلال جلسات الآباء وقراءتهم للصحف المحلية الفلسطينية كصحف الدفاع وفلسطين وبعض الصحف والمجلات المصرية التي كان المثقفون من الفلسطينيين يهتمون بها.

وفي هذا الجو يتأثر الأطفال بأخبار المقاومة ويفرحون لانتصاراتها ويحزنون لضحاياها وهزائمها ،ويتألمون لما كانوا يسمعون من إهمال الحكومات العربية للمقاومة وتآمرها عليها. وكنا نتحمس عندما نرى شباب المدينة الأكبر سنا وهم يحملون سلاح المقاومة ونحاول أن نتعلم كيفية استعماله ونعتز إذا لمسنا ذلك السلاح. وكنت اخشى أن أقترب من القنابل لئلا تنفجر، فلم أكن أعلم كيف يتم إطلاقها.

وقد انعكس جو الحرب علينا كأطفال فكانت لعبتنا الرئيسية في الحارات والأحياء هي لعبة الحرب بين العرب واليهود. وقد طورنا أسلحة تفي بهذا الغرض. وكنا نشكل أنفسنا كفريقين: فريق عربي وفريق يهودي، ومن الضروري التأكيد على كلمة "عربي" هنا، فلم نكن نذكر أنه فريق فلسطيني، بل فريق عربي، ولم يكن وارداً وصف الفريق الآخر بالصهيوني، بل بالفريق اليهودي، حسب ما كنا نفهم في حينه. أما أسلحتنا فكانت من بواريد (بنادق) وقنابل! أما البواريد فكنا نصنعها بأنفسنا بمساعدة نجار أو حداد في السوق. فكنا نشكل قطعة خشب على شكل ذراع البندقية ونثبت عليها ماسورة نصف إنش، ونصنع (سيخ حديد / قضيب رفيع) مدبب من جهة "الرصاصة" ومثني بزاوية من جهة الإطلاق. أما محرك القوة لهذا السيخ فكان عبارة عن شريحتين من تيوبات إطار السيارة (تيوبات العجلات) وهي شرائح مطاطية كما هو معلوم، وكانت تربطهما قطعة جلد للإمساك برأس زاوية السيخ الحديد، أي أن هذه التركيبة كانت نفس تركيبة النقافة أو الملطش الذي كان يستعمل لصيد العصافير بالحصى. أما "الذخيرة" التي كنا نستعملها في تلك البواريد فكانت "الفلين المفرقع"، وكانت الفلينة أسطوانية الشكل وفي وسطها فتحة فيها المادة المفرقعة، حيث كنا نضع الفلينة في نهاية الماسورة ثم نشد السيخ وهو بداخل الماسورة بواسطة شرائح المطاط إلى صدرنا ونطلق العنان لجهاز المطاط فيدفع السيخ نحو الفلينة ما يجعلها تنفجر وتحدث صوتا يشبه الرصاص. ولكن حسم المعركة كان يعتمد بدرجة أكبر على "القنابل" التي كنا ننتجها بأنفسنا. وكانت القنبلة عبارة عن قطعة قماش (قديمة بالطبع نأخذها من الألبسة البالية في بيوتنا) نملؤها بالتراب ونغلقها بربطها من أطرافها مع إبقاء بعض الفتحات حتى تسمح للتراب بالانتشار على "العدو"، وعندما تنشب المعركة كان كل فريق يقذف "القنابل" بالأيدي على الفريق الآخر، فتحسم المعركة بقوة التراب الذي كان ينهال على الفريق الآخر. وفي أثناء ذلك كانت البنادق (البواريد) تعطي جو المعركة ،بما تحدثه من فرقعات الفلين. وفي كل مرة كان واقعنا أفضل من واقع مدننا وقرانا في الوطن الذي وقع في مؤامرة كبرى ونحن بطفولتنا لم نكن نستوعب ذلك، فكان الفريق العربي في معاركنا هو المنتصر دائما. ربما كان


سوق الرملة قديماً

هذا تعويضا لاشعوريا عن هزائمنا.
وبعد ما حدث من هجرة قسرية وقاسينا مرارة الهجرة والغربة والفقر، كانت أحلامي تدور حول حارتنا في الرملة حيث كنا نلعب مع الأتراب بعض الألعاب الشعبية مثل "طاق طاق طاقية" والتغماية، و"الجلول"، و"البلبل" ثم لعبة الحرب. وقد بقيت هذه الأحلام تأتيني حتى عندما كبرت وصرت أبا وأستاذا جامعيا. وكنت استعذب تلك الأحلام وأشعر بأني زرت مدينتي وحارتي ورجعت إليها وأني عشت مع أصدقاء الطفولة واستمتعت بذلك.
وفي يوم من الأيام دعتني جامعة النجاح في نابلس لاستشارات أكاديمية وعلمية (عام ١٩٧٩)، وكانت أول زيارة لي بعد احتلال الصهاينة للضفة الغربية. وعلى الرغم من أنني كنت سعيدا لأني سوف أزور فلسطين وأسترجع ذكرياتي فيها، إلا أنني عندما وصلت إلى جسر العبور لفلسطين (جسر الملك حسين) ثم انتقلت إلى الجانب الذي تسيطر عليه قوة الاحتلال، ورأيت الجنود الصهاينة يذلوننا ويفتشون كل زاوية في ألبستنا وحقائبنا وأجسامنا، ويخلطون العقال والكوفية مع الأحذية في صندوق واحد للتفتيش ثم يعودون بعد الفحص الإلكتروني ويلقونها جميعا على الأرض بكل صلف واحتقار، فيتجاور على الأرض العقال والكوفية والأحذية، جنبا إلى جنب، ورؤية رمز الرجولة العربية (الحطة والعقال) وهي تختلط مع الأحذية على الأرض المتسخة، كدت أتخذ قرار التخلي عن الزيارة وأعود أدراجي إلى عمان، حيث اختلط الحزن والحنق والألم بالشوق لفلسطين ومدينتي الحبيبة. ولكن الشوق تغلب على الغضب فأكملت الزيارة. وما أن خرجنا من موقع مركز الأمن الصهيوني اللعين وبدأنا برؤية معالم القرى والبساتين والطرق والمدن الفلسطينية حتى انفرجت أساريري ومن معي ونسينا ذلك الذل الذي يشعر به كل عابر فلسطيني لوطنه.
وبعد أيام من استقراري في نابلس قمت بزيارة الرملة، كما زرت معظم المدن الفلسطينية، وتوجهت إلى حيّنا المعهود، بعد اجتهادات واسترجاع ما تبقى من ذكريات الطفولة. وعندما وصلت إلى موقع بيتنا، كانت سلطة الاحتلال قد هدمته منذ البداية لأنهم وجدوا فيه بعض الأسلحة، ولم أجد منه سوى جزء من السور الخارجي الذي كان يميزه أنه سلسلة من أحجار "الدبش" ولم يكن سورا إسمنتيا، وبجانبه شجرة التوت وشجرة التين، هما الشجرتان الوحيدتان اللتان بقيتا من البستان، ورأيت مباني جديدة بنتها سلطة الاحتلال للمغتصبين على الأراضي التي كانت مساحات مفتوحة نلعب فيها، ورأيت بعض السكان العرب الذين بقوا في الرملة أو الذين هُجّروا إليها من القرى التي هدمتها سلطة الاحتلال واستعملتها كمواقع عسكرية أو جعلتها قاعا صفصفا لكي لا يبقى لتلك القرى أي وجود يذكّر بها. وكان الألم والحزن يختلطان بالسعادة لرؤية ملعب الطفولة وذكرياتها وأرض الآباء والأجداد.
بعد تلك التجربة وبعد أن قضيت عدة أشهر ممتعة في العمل مع جامعة النجاح الوطنية وفي التجوال في فلسطين، عدت إلى عملي وحياتي في عمان. ومضى العام وراء العام، وقد غابت عني تلك الأحلام التي كانت تأتيني في منامي عن الرملة وأتراب الحي وألعابنا البريئة وحياتنا الساذجة. لقد حل الواقع المر بدل الحلم الجميل الذي غاب كلياً. لقد بدا لي أن الحلم كان يحمل في طياته أملاً في المستقبل فانهار الأمل في مرارة الواقع. وعلى الرغم من أنني كنت أتمنى أن أرى ذلك الحلم وأستدعيه في خيالي ولو أنه كان وهماً، فإنه ربما ضاع إلى الأبد. ليته يعود لعله يعطيني وهما بتجميل الواقع المر الذي نعيشه. فهل كانت الزيارة أجمل أم استمرار الحلم؟؟؟



قالــوا ...

اختارها عبد الله أبو علم

- قال الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني (يخاطب طلابه في حفل تخرجهم :احترموا كل من يستحق الاحترام،ولكن لا تعبدوا أحدا،وعظموا كل من يستحق التعظيم ،ولكن لا تستصغروا أنفسكم،ولا تتعدوا على أحد ،ولكن لا تسمحوا لأحد ان يتعدى عليكم، والكرم فضيلة ولكن إذا طمع الأشرار في كرمكم فلا تكونوا كرماء.
- قال البرفسور الفلسطيني (رشيد الخالدي):كيف ينسجم موضوع مقترح حل الدولتين مع استمرارية هذه الديناكية اليمينية التي تسيطر على مؤسسات الدولة الصهيونية واحدة بعد الأخرى بما في ذلك مؤسسة الجيش،ان حل الدولتين لن يحل الصراع ،ولا أرى كيف أن هذا الحل سيكون الحل النهائي والوحيد وفقاً للرؤية الإسرائيلية التي ترفض عودة أي فلسطيني إلى داخل الخط الأخضر،كذلك كيف سيتعاملون مع المشكلة المتزايدة التي تمثلها الأقلية الفلسطينية داخل إسرائيل ،إن مقترح حل الدولتين لا يتطرق إلى ذلك .ان هذا جزء من القضية الفلسطينية وهو كذلك مشكلة إسرائيلية ،الترانسفير ليس هو الحل والتطهير العرقي ليس هو الحل أيضاً.
- قال أستاذ علم اللغات في أمريكا (نعوم تشومسكي) وهو يهودي غير صهيوني في محاضرة في الجامعة الأمريكية في القاهرة:إن الحلم النووي الإيراني لا يعتبر تهديداً للأمن والسلم العالمي إذا ما قورن بالتهديد الذي تمثله أمريكا وإسرائيل وباقي الدول التي تمتلك بالفعل أسلحة نووية قادرة على تدمير العالم،وان حل هذا الملف المعقد يتمثل في إيجاد عالم خال من أسلحة الدمار الشامل،وليس عالماً يمتلك فيه القوي أسلحة التّدمير النووية ويمنعها عن الضعيف ،وان أمريكا تقتنع فقط بالديمقراطية التي تتماشى مع مصالحها وترفض تلك التي تتعارض مع سياستها او تضر بمصالحها،ولو كانت ديمقراطية حقيقية، وإن الأمر الأخطر بالنسبة لأمريكا سيكون التحركات نحو استقلالية القرار في الشرق الأوسط،لأن صانعي القرار الأمريكي أدركوا منذ أربعينات القرن العشرين أن السيطرة على مخزون الطاقة في الشرق الأوسط لها علاقة كبيرة بالسيطرة على العالم.
- قال الصحافي البريطاني (باتريك سيل):إن الخطأ الأساسي الأول لإسرائيل الذي تتفرع عنه الأخطاء الأخرى هو رفض إسرائيل رفضا قاطعا السماح بقيام دولة فلسطينية فاعلة في الضفة وقطاع غزة المحاصر.
- قال الشيخ (كمال الخطيب –نائب رئيس الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر)في تصريح يوم ٢٠١٢/٧/٣١: إن الاحتلال الإسرائيلي سمح في شهر رمضان بدخول المستوطنين والمتطرفين الى باحات المسجد الأقصى ، في الوقت الذي أصدرت فيه بلدية الاحتلال في القدس قراراً باعتبار باحات المسجد الأقصى حدائق وساحات عامة يجوز لأي شخص دخولها، مما يفسح المجال لليهود بالدخول إليها في أي وقت، وقد قامت قوات الاحتلال باعتقال إمام المسجد الأقصى أثناء سجوده في صلاة فجر يوم الجمعة ٢٠١٢/٧/٢٧ ومنع المصلين من إتمام الصلاة بعد اقتحام عدد من الجنود الصهاينة المسجد الأقصى بصورة مفاجئة .
- قال الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء:لقد تضاعف عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية والقدس أربعين مرة بين عامي ١٩٧٢ و ٢٠١١،حيث بلغ عددهم عام ٢٠١١ ما يصل إلى (٥٣٦٩٣٢) مستوطنا في (١٤٤) مستوطنة وكان أكثرها في القدس بواقع (٢٦) مستوطنة ، ثم في محافظة (رام الله والبيرة) حيث يوجد (٢٤)مستوطنة ،ويتركز معظم المستوطنين في محافظة رام الله والبيرة بواقع (١٠٠٥٠٠) مستوطن ،ثم في محافظة (بيت لحم)حيث بلغ عددهم (٥٩٤١٤)(مستوطنا ،ثم في محافظة سلفيت)بواقع (٣٤٩٤٦)مستوطنا،وكانت أقل اعداد المستوطنين بنهاية عام ٢٠١١ في محافظة طوباس بواقع (١٤٨٩) مستوطنا.
- قال وزير خارجية أمريكا الأسبق اليهودي(هنري كسينغر):ان إسرائيل تمثل كلب الحراسة لمصالح أمريكا الإقليمية في الشرق الأوسط ، ولذلك على أمريكا ان تقف إلى جانبها وان تمدها بالسلاح الضروري لتبقى متفوقة في تسليحها على كافة الدولة العربية مجتمعه، وانتقد التطرف اليميني في الحكومة الإسرائيلية في مقابلة مع صحيفة (نيويورك تايمز) قائلا:إذا بقيت إسرائيل تحت سيطرة اليمين المتطرف فإن دولة إسرائيل لن تكون موجودة بعد عشر سنوات.
- قالت (ستة عشر مؤسسة استخباريه أمريكية في تقرير مشترك تحت عنوان (الإعداد لشرق أوسط في مرحلة ما بعد إسرائيل):ان انتهاء دولة إسرائيل في الشرق الأوسط أصبح حتمياً ،وذلك بفضل المدّ الثوري الشعبي الذي يجتاح المنطقة برمّتها،وانهيار أنظمة الحكم القديمة، وتحطيم هياكل النظم السياسية والاجتماعية المرتبطة بها،ونشوء أنظمة حكم جديدة في دول محورية مثل مصر،وذلك بسبب المعطيات التي أطلق الربيع العربي أعنتّها ،والصحوة الإسلامية الواسعة والمعتدلة، وانهيار الأنظمة والزعامات العربية المرتبطة بإسرائيل التي تم شراؤها لخدمة إسرائيل في الحقب الماضية،والتي كانت تقدم خدمات حيوية جدا لبقاء إسرائيل من خلال فرض القيود الصارمة على شعوبها فتحول بذلك دون تقديم دعم شعبي عربي حقيقي للفلسطينيين،وسوف تنشأ أنظمة حكم جديدة في المنطقة أكثر ديمقراطية وأكثر إسلاماً وأكثر عداءً لإسرائيل ، كما ان أمريكا لم تعد قادرة على الاستمرار في دعم إسرائيل بمختلف أنواع الدعم المادي والعسكري المكلّف بسبب أزماتها الاقتصادية ووقوفها ضد مليار ونصف المليار من العرب والمسلمين الذين يحيطون بإسرائيل من كل جهة ، كما ان الدعم الأمريكي الأعمى لإسرائيل جعل أمريكا تتخذ مواقف معادية للمبادئ الإنسانية ولحقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة وكفلها الدستور الأمريكي مما أدى بأمريكا بسبب اعتمادها معايير مزدوجة ان تفقد مصداقيتها واحترام شعوب لعالم لها.
- قال الرئيس الأمريكي (أوباماً): ان قصة (الخروج من مصر) لعبت دوراً مركزياً في تاريخ الولايات المتحدة ، فقد اراد الآباء المؤسسون فرانكلين وجفرسون وآدمز ان يكون الرمز القومي للدولة الجديدة أمريكا هو (فرعون)الذي يقود جنوده إلى (البحر الأحمر)، وان أبناء جيلنا هم جيل (يوشع بن نون)الذين يجب عليهم أن يُتموا مهمة (جيل موسى) وهم رواد حركة المساواة واجتياز النهر.
- وقال في ٢٠١٣/٣/٢١ أثناء زيارته لإسرائيل:إن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل ثابت كالصخر لا يتزعزع،وإن التحالف بين أمريكا وإسرائيل أبدي فهو باق ومستمر للأبد،وإن من مصالح أمننا القومي الرئيسي الوقوف مع إسرائيل ،فإن ذلك يجعل كلاً منا أقوى ،وما دامت هناك أمريكا فلن تكون إسرائيل وحدها ،وإسرائيل أقوى دولة في المنطقة وتدعمها أقوى دولة في العالم ،وعلى الفلسطينيين ان يعترفوا بإسرائيل دولة يهودية ،وقد خاطرت إسرائيل من اجل السلام ،وقدمت مقترحات للحكومة الفلسطينية من اجل السلام .

أفَقنا على السبعين من عمرنا – نوافذ وشرفات



دكتور سمير ايوب
خريج الفاضلية سنة ١٩٦٠

التقيته مساء يوم دافئ من الشهر الماضي . رافقته الى نشاط ثقافي في المنتدى العربي في عمان . صديق الصبا دكتور فتحي ابو عرجة ، ورفيق عمر ودرب . تجاوز مثلي السبعين من عد السنين . سنين انتظرناها مطولا. ما تمنينا يوما ان نبتعد عن حقائقها . ولم نستسلم بالطبع لسياقاتها المادية ، التي لامست بلا استئذان الكثير من تضاريس أجسادنا وأرواحنا. بعضها مر مبتسما ، وبعضها الاخر عابسا متجهما . وقليل منها كان مروره شديد الحيرة .

انتظمت المحطات الأُول من اعمارنا ، على مقاعد الدرس الابتدائي في المدرسة الوحيده للذكور آنذاك في شويكة . وتابعنا معا المسار المتوسط في التعليم ،في مدرسة طولكرم المتوسطة للبنين . ومن ثم رست سفننا في رحاب الفاضليه ، الثانوية الوحيدة للذكور في منطقة طولكرم .

منذ ان فارقَتْ اقدامنا ارض الفاضليه عام ١٩٦١ ، حلقنا كزغب القطا ، في كل فضاءات الدنيا على اتساعها . بعد ان كنا قد تشربنا الكثير من الخلق والأفكار والعزم المسيجة جيدا بمنظومات من المبادئ والقيم التي عايشناها مع باقات من المربين والاساتذه في كل مراحل تلقّي العلم والمعرفة .

فوق مقاعد الدرس ، تقاسمنا د فتحي وانا وباقات من ابناء جيلنا ، الكثير من الأحلام الشخصية والوطنية العامة . القليل منها تحقق بشكل او بآخر . والبعض منها تلاشى . وبعضها الاخر لا زال يتأتئ ، وبعض بعضه تم او يتم اعادة تدويره من جديد .

وفجأة ، ونحن لا نزال في الطريق الى المنتدى نتجاذب مروحة من الاحاديث ، نقارب عبرها ، شيئا من احلامنا التي لم تكتمل بعد ، وكثيرا من الوقائع التي بات العيش في ظلالها غير محتمل ، افقنا معا على ان العمر في الجهد وفي عد السنين ، كان محور حديثنا ، وعناوينه المكتظة بالتفاصيل . فما بين صيف مغادر وشتاء آت ، كليل العاشقين تلاشت الكثير من السنين ، بنسائمها ورياحها العاتية . تقدمنا في دروب الاعمار ، وبعَتم لياليها هبط الشيب على رؤوسنا كزخات ثلج لاهية .ازدحمت اكناف تلك السنين ، بكثير مما لم يكن يخطر لنا على بال . خسرنا وربحنا كثيرا . توالدت لنا فيها احلام ، ترعرع بعضها ، وضاع او سرق او تم تشويه بعضها ببعضها الاخر . تعدلت طموحات . اختبرنا مشاعر كثيرة متعارضة. دفنّا افكاراً. غاب في تلك الدروب حاضرون، وحضر عبرها غائبون .

في لجة الحديث ، وبقلق يتنقل سريعا ، بين عينيه وشفتيه ، اندفع صاحبي معقبا ومتسائلا : انت تعلم ، اننا لم نسجن شيئا من احلامنا الصغرى او الكبرى، ولم نترك شيئا منها وراءنا ، كانت حادينا في الحل وفي الترحال ، البوصلة في كل ما اقتربنا منه او ابتعدنا عنه . من اجلها ، رفضنا دروبا قصيره ومنبسطه، ولم نعبر من اجلها بحارا ضحلة او مياها آسنه وعكرة .

وأضاف ، انت تعلم ، ان في بعض المساقات ، داهمتنا خيانات البعض كالاعصار ، وبعضها كالبراكين او كالزلازل. اوجعنا كثيرون. ولكن، هل اصطادت تلك الاوجاع التي انتصبت من حولنا مع كثرتها ، شيئا منا ، كما تصطاد شباك العناكب ضحاياها ؟

نعم يا صديقي، تكسرت لنا اصابع لنا عزيزة ، تشققت منا الاقدام . يا الهي كم شعرنا بلدغات الدبابير والنحل، دون ان تذوق شفاهنا شيئا من عسل . كم عبرت اقدامنا دروبا، دون ان تلامس ترابها. كانت ايامنا كشجر اللوز، بعض ثمارها حلو المذاق ، والبعض الاخر مر كالعلقم ، بعضها عند الكسر هش،

وبعضها شديد الصلابة . بعضها كان في متناول اليد ، وبعضها كان بعيدا ، في اعالي الشجر .

بعد كل ما تعلم ، اسألك ثانية ، هل مات شئ فينا ؟ انسانيتنا مثلا ، كرامتنا ، مبادؤنا ، عزائمنا ؟ هل فارقنا ذواتنا وبتنا عابرين؟ قلت : مهلا يا صديقي ، شئنا ام ابينا، كبرنا ،وكنا نغذ الخطى لنكبر بما فيه الكفاية ، تألمنا ، اخطأنا ، تعلمنا ، ولكنا كنا في كل ما قاربناه من هذا وذاك ، ابطالا . ابطالاً في الفقر وابطالاً في الدرس . ابطالاً في العمل وابطالاً في مقارباتنا السياسية . ابطالاً في كل ما انتصرنا فيه ، وفي كل ما انهزمنا في ثناياه .

وقبل ان ندلف البوابة الخارجية للمنتدى ، كنا قد توافقنا، على أننا ، رغم كل تلك المنعطفات ، لم نسأم شيخوختنا بعد ، بل ونتوق لطفولتنا ولصبانا وشبابنا ايضا ، وما مللنا طموحاتنا ولا احلامنا بعد . ولكن ما اصعب ان تصبح تائها ، بين :ليتنا لم نكبر ، والحمد لله اننا كبرنا .

اتفقنا ان نجوب لاحقا ، شيئا من ارجاء الذاكرة ، نعيد فتح بعض نوافذ عليها ، نطل من شرفاتها ، على شئ من موانينا ، وسفننا واشرعتها ، كما كانت هناك ، منذ ان درجنا على بيادر شويكة في فلسطين المحتلة ، وكما تبدو لنا الان ، عن بعد زماني متحول ومتجول . نوافذ نتوكأ عليها ، دون ان نعبث بالماضي لا تجميلا ولا تشويها .

فلقد كان لجيلنا بالكامل ، الف عمر وعمر ، تتجه بداياتها كلها وان تفرعت ، الى دروب في مكان ما ، من فلسطين المحتلة . دروب غطسنا مبكرا في عشقها ، ولم ندرك نهايتها بعد ، عانقت بترابها وبمنعطفاتها وبعثراتها ، يوما ما بحنان ، لحم اقدامنا العاريه ، كان السر في تلك المعانقة ولا يزال ، كامن في اقدامنا نحن ، لا في الطرق ولا في سكينتها او فيما شابها من عوالق .

سنبدأ من هناك ، من النافذة الاولى : امهات تعز على الوصف سنبدأ من حيث لا نكتمل الا بالحديث عنهن ، ممن اعتنينا بنبل متفان ، بكل تفاصيل حاجاتنا ، مذ كنا نحبوا صغارا من امهاتنا. امهات بادرن وكن السباقات ، في نقش ورسم ووشم ادق تفاصيل طفولتنا وصبانا ، وبواكير شبابنا. ممن كن يتقن فهم ما في صدورنا ، من نبرات اصواتنا، بعيدا عما يضحكنا او يبكينا.

في احضانهن لم نكن مجرد رعايا او مواطنين من الدرجة الاولى، بل امراء متوجين. في احضانهن عانقنا دفئا ما كان ينضب ، وبلا مقابل . ياما تقلصنا من البرد فيها ، وغطسنا في نوم عميق في ثناياها . وهن يقاومن بصبر جميل ، قشعريرة برد عات . كان لتلك الاحضان ، نكهة امومة تعز على الوصف .

كنا نرى الحياة في عيونهن ، تتشكل معانيها ودروبها وعناوينها ، من حب لم يكن للحظة واحدة ، بالتخاطر عن بعد ، او بالتخابر السلكي او اللاسلكي ، او حتى بالريموت او بالماسيجات . حب كان كالحادي المنادي ، له انغام معجونه بعطر الرضا الطازج وغير المتذمر او الممن.

امهات توحمن في حملهن على سفط راحة ، او بطيخ او كمشة زعرور ، او على ما هو ابسط من هذا بكثير ، فلم يكن الايباد او الايفون او الجلاكسي في افق رغائبهن على الاطلاق .

امهات ، حرصن على العمل ، حتى اللحظات الاخيرة من الحمل. كنا نفيق في الصباحات الباكرة ، صيفا وشتاءا ، لنجدهن قد مارسن عشقهن الصباحي ، في تفقد الجاجات والطابون وبير الماء والحطب . اوقاتهن لم يكن بها متسع لمسلسلات تركية تلوث وجدانهن ، ولم تكن عقولهن مكتظة بمهند وشياطين مهند، ولا في اجندتهن، مواعيد الكوافيره او المنكيره او البديكيره . متعتهن كانت في غسل فوط اطفالهن ونشرها على الحبال او الاسيجة او الشبابيك ، وفي المساء تجديل الشعر وتمليسه بزيت الزيتون ، وفي وضع كحل في العيون ، او وشم اخضر على الشفاه ووسط الذقون . ولم يكن يدرين – يرحمهن الله – ان الكحل والوشم ، يكتسبان شيئا من جمال وجوههن ، ورونق لمعان الطيبة والرضا في عيونهن .

امهات كنا معهن ، كثيرا ما نتبعثر اول الليل في نومنا ، في كل مناحي البيت، وعند الصباح نكتشف دائما اننا في الفراش المخصص لنا . علمننا لعبة النبلة والمقلاع والبنانير والطاق طاق طاقيه . علمننا كيف نذهب الى منازل رفاق اللعب سيرا على الاقدام ، ونينادي ببساطة امام الابواب : شل العب وشل العب، ويا متعشي قوم نلعب . في زمانهن كان لنا بيت واحد وعائلة واحده. ولم نكن في عطل نهاية الاسبوع نبات مرة عند امنا المطلقة ، ومرة اخرى ، عند ابينا المخلوع .

امهاتنا اقمارنا ، سماواتهن مكتظة بالنجوم التي انجبها . وهل نجمُنا الرائع علي نايفه واخوانه الا مُثُّل مؤكد حي على جهد لم تتأخر ثماره ؟ يرحمهن واباءنا الله . اجرهم كان على قدر مشقتهم .

النافذة الثانية – عبقرية المكان

منذ ان غادرت اقدامنا تراب الفاضلية ، بدت لنا اماكن الترحال كما تبدو لاسراب العصافير المهاجره . بيننا وبينها اكثر من حبل سري . نتهجى قراءتها، وعندما نتفهمها تحاصرنا الاماكن . كلما هممنا في مغادرتها، تتعثر خطانا في حضنها. تبقينا فيها وتبقيها فينا . ولكن كل شئ في اي مكان ، كان يعيدنا الى موانئ الاقلاع، هناك في مكان ما ، من فلسطين المحتله، حيث لكل حبة تراب ، شفاه كبرى تهمس لنا بهدوء، لا ترحلوا، عودوا ايها الغائبون، كنتم هنا ولا تزالون. هنا زرعتم الكثير من احلى

ذكرياتكم ، وهنا حضن ارواحكم .
في اي بقعة في ارضنا في الحدود الأمامية كما يسميها الرسميون ، كانت الابصار والافئدة تسري وتعرج ، صبح مساء وما بينهما، لمعانقة ما تم انتزاعه بالخيانة وبالتواطئ من جسد فلسطين. احلامنا في استعادتها كانت لا تقع تحت حصر . سكنتنا الحدود وما وراءها ، كان اول احلامنا فلسطين ، وكانت كل فلسطيين منتهى تلك الاحلام العذراء . كانت كل فلسطين عيد ميلادنا اليومي.
في شويكة وفي غيرها من قرى ومدن الحدود ، لم تكن بيوتنا مجرد غرف تجمعنا او تؤوينا فقط . ولم تكن الطوابين امكنة لاعداد خبزنا فقط . ولم تكن آبار جمع المياه مجرد خزانات لجر مياه الامطار والسقيا منها . ولم تكن ساحات المدارس التي عبرناها في شويكه او في طولكرم ، باحات لعب ولهو فقط . ولم تكن المقاهي مجرد اماكن لقتل الوقت بما لا يفيد .
كانت كلها مثابات مكانية عبقرية نهرع اليها ، تضمنا بين حناياها كلما اردنا . نصغي فيها الى الكثير مما يشبه نشيد : الله اكبر فوق كيد المعتدي، والله للمظلوم خير مؤيد، ونشيد أخي جاوز الظالمون المدى . فنصاب بقشعريره قهرية مما نعيش فيه من وقائع . تشكل كلها وتعيد تشكيل وجداننا واحلامنا ، وتجدد العهود والمواثيق مع الوطن، وتشحذ منا العزائم للعمل من اجل تحريره وبنائه .

النافذة الثالثه – قناديل بها اقتدينا ومعها اهتدينا

تمر بنا اوقات نتمنى فيها ، ان يهبط الينا بعض من نحب من السماء. علنا نمضي برفقتهم وقتا اضافيا ، فرصة اخرى ، نعترف لهم فيها بحبنا وباحترامنا الشديد لهم ، نقاسمهم الكثير من ذكرياتنا واياهم . نبوح لهم بالكثير من اوجاعنا المعاصرة . نسمع منهم ونتصت لهم . ومن ثم نعيد مراسيم توديعهم من جديد بما يليق بقاماتهم . فما زلنا لم نبك فراقهم . احببناهم لدرجة ان البكاء عليهم لا يفيهم حقهم .
هم قناديل تسرج كل حين في وجداننا . قاسمونا دون اغتصاب لارادتنا ، دماثة اخلاقهم مع علمهم وخبراتهم وصبرهم الجميل. فحلقنا مطولا مع افكارهم وعزائمهم التي لم تكن تنضب .
علمونا ان سقطنا ونحن نغذ الخطى الى اهدافنا ، ان لا نبكي وان لا نشكي او نتشاكى . بل علينا ان نكون اقوياء في مواجهة انفسنا . وان نكون بارعين في مواساتها . فما النجاح الا انتقال ايجابي ارادي ، من اخفاق الى اخفاق ، دون فقدان الحماس . شريطة ان يبقى الحرام والعيب معا ، مصدر خجلنا الدائم . ودون ان نخوض في اقدار الناس . فلاقدار الناس آداب كثيره علينا التبصروالتدبر جيدا فيها .
قناديل كثيرة مشعة كانت في كل مدارج حياتنا ، في شويكه وفي طولكرم وفي المنافي القريبة والبعيدة. بصماتهم الغائرة في وجداننا ، نعجز ان حاولنا الابتعاد عنها كثيرا . نحني الهامات، نبتسم لهم بمتعة وبسعادة وباعتزاز ، فنحن على يقين ، بأنهم مهما ابتعدوا عن العيون التي في الرؤوس ، هم في الصدور باقون.
ما اكثرهم بارك الله فيهم ، ابناء جيلي وانا نحييهم ، من خلال اول باقة منهم ، كانت محور البدايات التي احتضنتنا ، ونحن ندرج اولى خطواتنا فى مسرى العلم في شويكة. هم ممن احبّنا بلا ثمن . انصتوا لنا باحسان ، نصرونا على الخير ، احتمينا بعقولهم وبقيمهم .
خوابي العمر ، بهم باذخة الثراء ومتنوعة التكوين . يحيطون بذاكرتنا من كل الجهات والجبهات . عبروا واستقروا وتركوا البصمات . ممن يرهقتنا الحنين اليهم
= الاستاذ فارس الحسين (ابا نزار) ، بصرامة الاب مدير المدرسة ، علمّنا النظام والانضباط ، وحسن الانتماء ، والاعتزاز المتواضع بالنفس .
= شيخنا الجليل عبد الرحمن الشيخ مرعي ، بابتسامته المحببة ، انشأنا على ان الايمان السوي ماهو الا عقيدة وممارسة معا ، بلا انتقاء متعسف . وربانا على صفاء النفس وطهارة البصر، وتهذيب اللفظ وتوقير الناس .
= سيدي ابو محمد الاستاذ عبد القادر حامد ، بتفانيه وجلده ، ربانا على ان تبقى الرؤوس مرفوعه الى العلى ، وعلى ان تبقى الصدور مدفوعه الى الامام ، فالعقل السليم في الجسم السليم
= والاستاذ ابراهيم الصالح (ابو فراس) ، بعزمه واخلاصه ، رفع لنا باقتدار ، الستارة عن المشاهد الوطنية والقومية العربية. وبث فينا من العزم الشئ الكثير مما نعتز به حتى الان .
= واستاذنا الفاضل فتحي الشيخ عبد ، فقد كان بوقاره وجديته وعلمه ، له كل الفضل ، فيما انيرت به بصيرتنا ،على الاسلام السياسي الجهادي .
من خلالهم ، تمتد ابصارنا الان ، لكل القناديل التي بها اقتدينا بحق ، وبنورها اهتدينا بفخر. لهم جميعا ننحني اعترافا بالفضل المتصل ، واحتراما وتقديرا وحبا . رحم الله من مضى منهم راجعا الى ربه سبحانه وتعالى ، واطال الله في عمر من لا زال منهم ينتظر .

النافذه الرابعة – بطش وغطرسة الفقر

فقرنا لم يكن انسانيا ولم يكن جميلا باي حال من الاحوال . كان فقرا مترامي الاطراف ، محشوا بالفقر من كل حدب وصوب . كان عنوانا وشاهدا على محطات من العمر مؤلمة . فقر تشم فيه

عطر الماضي وطقوسه التي قاسمتنا الكثير من صبرنا الجميل، لنبحر فيه بسلام ، ولنعبره ببراعة واقتدار . التفكير فيه وفي تبعاته كان مطولا ،واحد اهم واجباتنا اليومية الاساسية .

فقر كانت فيه قرانا بلا بلديات او امانة ،لتحظى بشئ من الصرف الصحي اوالعبّارات او الجسور، قرانا انظف من كثير من مدن هالايام ، ولم يتمكن مطر، مهما طال واستطال، نسميه «كب من الرب»، من قطع طرقاتنا او تعطيل حركاتنا. بل انعم الله علينا، بمنظومات جمعية شمولية: قيم تضامن وتكافل وتعاضد، وعادات نظافة ذاتيه وعامة .

آنذاك كانت افراننا طوابين من كل السعات والاحجام، غير مجبرين باسم حرص بيئوي مفتعل ، على تركيب شفاطات دخان لها ، وقودها روث دوابنا ، ونفايات بيوتنا مع قلة تلك النفايات ومحدوديتها .

وسياراتنا حمير من كل الموديلات والالوان والاحجام ، كنا نركبها بدون احزمة امان ولا اكياس هواء. وناقلاتنا جِمال وبِعران صبورة .

ومياهنا ترسلها اسقف بيوتنا النظيفة، وساحات البيادر المصانة سلفا ، الى آبار للجمع حفرها الاباء في كل مكان ، آبار خاصة وعامة . يستسقي منها كل من يريد ، كانت سقاية يشترك بها كل الناس .

حلال آبائنا لم يكن يحتمل التبذير مع قلته ، لذا كان فطامنا مبكرا ، نتحلى على صحن هيطلية او بحتة ، او شقفة هريسه او نموره، او حبة زنكل ، او لقمة اكسيبه او حبة راحه او حلاوه، او حبة ملبس حامظ حلو ، وتروي عطشنا من حين لاخر ،او في مناسبة سعيدة ما ، كباية خروب او عرق سوس ، وفي احسن الاحوال زجاجة كازوز او عسيس اواصبع اسكيمو او كاسة براد ليمون يسمونه سلاش هالايام .

درسنا على طبلية، وسراج وفتيلة، او ضو نمره ٤ وقزازة ياسين، او شمعدان ، وفي احسن الاحوال على لوكس ابو شنبر.

والاهم ، اننا بلا حِمية خاصة او ربط معد او شفط دهون ،لم نكن سمناء او بدناء ، بل كالرماح بفضل الحركة الدؤوبة ، واللعب المتواصل خارج البيت ، حركات ابتدعتها خيالاتنا وحاجاتنا المبهمة الى الرشاقة. فلم يكن لدينا بلاي ستيشن ولا العاب فيديو ولا الف قناة تلفزيون . ولم نكن نمتلك اجهزة فيديو او موسيقى هواتف خليوية او حواسيب او غرف دردشة عبر الانترنت . كانت امهاتنا وعماتنا وخالاتنا هن حكواتي ليالينا الجميلة المقمرة .

كان البرد كاشفا لفقرنا. نرقص من لسعاته. نحتال عليه بجزمات من باتا ومن عصفوركو، بالبخنق وملابس البكج ، وبتداول الملابس اخا عن اخ واختا عن اخت وولد عن والد وبنتا عن ام . وبمواقد من طين ابيض كنا نسميه الحِوّر ، وقودها دق من جفت الزيتون المحروق في الافران ، او من حطب نجمعه سلفا في الصيف وفي الخريف ويرص فوق مداخل البيوت ، كان حطبنا اغصان مكسورة من شجر في حواكيرنا . سجادنا حصير خشن وفراشنا قليل غير وثير ، لم تكن مخداتنا ولُحفنا من اسفنج او بولسترين او ريش نعام ، بل من قش المساند او الجواعد او صوف الغنم المنجّد سنويا . لا تزال خياشيمنا وجلودنا تختزن عبق ذاك الفراش الوثير آنذاك ، اظن ان بعضنا لم يفق حتى الان منه .

كان فقر اكثرنا كفصيلة الدم ، يسري في الشرايين وفي الاوردة المرهقة منه . موجع كان ، ولكنه محفز كان ايضا . لم نكن نَدَعْ ذاك الفقر يفرح بمعانداته لنا . كنا كلما اشتقنا لاحلامنا، لا نبحث عنها في طيات او دقات الفقر ذاك . ما بين مقتنا له واشواقنا لشئ من احلامنا نطل عليها ، قاتلنا بضراوة مع اهلنا لتغييره او على الاقل استيعاب شئ من مساراته واحتواء شئ من تبعاته .

نجح بعضنا في ذلك ، بعد ان اضطر احد افراد العائلة مبكرا في سفره الى واحدة من دول البترول واماراته ، ليعمل هناك. وتحقق الكثير من التغيير لبعضنا ، بعد بركة التخرج من الفاضلية . حينها صعد البعض منا بامتياز الى شئ من احلامه ، على اشلاء فقر يتهاوى لا على اشلاء احد .

اجمل ما في ذاك الفقر ، ان كان حقا فيه شئ من الجمال ، انه قد حررنا من عاهات اجتماعية كثيرة ، لعل ابرزها كان ، انه ابعد عنا اصدقاء المصلحة . كنا في هم الفقر شبه سواء . جمعتنا شجرته بساقها وبجذورها . وفوق الجذور تنوعت الاغصان وتفرعت في كل اتجاه .

كلما ساء مزاج ذاك الفقر ، كانت والحمد لله ، احلامنا كالاصدقاء الخلّص اول الحاضرين مبتسمة متفائله تمسك بايدينا في مسيرة الافق المتد .

النافذة الخامسة – احلامنا

كانت تحاصرنا وقائع كثيرة مؤلمة . كان كل شئ من حولنا فقيرا ، الا قلوبنا وارواحنا وطموحاتنا وارادتنا ، كان حدها السماوات العلا . لم نحبس شيئا منها مع قلة ملامحها . فرادى ، لم نكن نحسن الابحار بين تضاريس تلك الوقائع ولا تلك الاحلام. لذا لم نسجن انفسنا في عزلة بائسة او انيقة . كنا ندرك الى اين نريد ان نصل ، فكنا نبحث عن احسن السبل للوصول، لم تكن اي طريق تفي لنا بالغرض . انفتحنا على واقعنا الاصغر، وتقاطعاته العربية الكبرى ، بحثا عن الحقائق فيما حولنا من وقوعات .

تقلبنا في حواضن فكرية ومدارس سياسية واطر تنظيمية متعددة . دون ان نفهم كثيرا . فما كان في الافق آنذاك غيرها. كنا ندرك ان وجودنا بلا احلام منتمية للوطن ليس له معنى . شرّقنا وغرّبنا في ساحات الحوار والجدل والمماحكات على غير هدى ، وبلا تخطيط سوى صدق النوايا وعزم الشباب وبوصلة فلسطين .

لامسنا الفكر الليبرالي والايديولوجيا البلشفية والاشتراكية الفابية، وانغمسنا في الفكر القومي بكل تفرعاته ومدارسه، والموروث الديني الجهادي ، والتقوقع الوطني المعن في محليته. حاورنا ساطع الحصري عبر ميشيل عفلق وجورج حبش وانطون سعادة ، وقاربنا مادية انجلز وجدلياته عبر ماركس ولينين وستالين وماو وتروتسكي وبكداش . وكانت لنا صولات وجولات مع المخزون الهائل من الاسلام الجهادي عبر تقي الدين النبهاني واحمد الداعور وحسن البنا وسيد قطب وغيرهم من تابعين وتابعي التابعين وتلاميذ ولصوص وشذاذ آفاق فكرية. بحثا عن بدايات طرق ومعارج الى احلامنا بوطن محرر ، دلفنا بوابات وشبابيك كل الحركات والاحزاب والمنظمات والتنظيمات والدكاكين والبسطات ، الدولية والعربية والفلسطينية. حاورناها في كل ما كانت تتكئ عليه من مخزون وموروثات الفكر الانساني في كل مكان . حاول بعضها استنساخ ذاك المخزون الفكري وتبنيه فجّا كما هو ، وتارة احتواءه مستنسخا معدلا ومرات اخرى حاولت تدجينه ولي عنقه والانتقاء منه بعشوائية تتوافق مع هواها المتحرك كبندول ساعة حائط .

وَلعُنا في البحث عن افضل البرامج والسبل والادوات والمواقيت التي نحرر بها ما كان قد اغتصب حينها من فلسطين ، ساقنا الى نقد هذا وتسفيه ذاك ولعن ثالث والتأفف من رابع والتصفيق لخامس والعشق المتنقل الرجراج لسادس .

تعثر الكثير من احلامنا ، وبعضها سقط سقوطا مدويا . بعضها انتفض ونفض عن مشاريعه الغبار ونهض مكملا مشواره .

عشنا امجادا ملأتنا نشوة . طَرْد عنوان الفساد في مصر فاروق. فشل العدوان الثلاثي على مصر في تحقيق اي من اهدافه المعلنه. تم تحرير الجزائر وجنوب اليمن . تحققت اول وحدة عربية معاصرة بين سوريا ومصر . خَلَت الاراضي العربية من الظلال السود (ولو شكليا وظاهريا) من القواعد الامريكية الاستعمارية. نهوض الشعب الفلسطيني عبر منظمات متعددة لممارسة العمل المسلح لتحرير ما كان قد اغتصب من ارضه . شهدنا ملحمة الكرامة وسحق عدوان اسرائيلي على ارض الاردن.

اكتوينا بالمقابل ، باوجاع ، من هزائم وكوارث متتالية ، بعضها ساحق جاء احتلال على خطاه ،ومن ثقوب بعضها تسللت حروب اهلية نقشت بصمات الخراب شواهد على عبورها المقيت، وبعضها متلعثم . ماحقة لشئ من احلامنا ، ما كنا نتمنى ان نكون قد عشناها ، انتصرت العشيرة والقبيلة السياسية او الحزبية على بلدانها ، عشائر وقبائل خذلت اوطانها ولم تنتصر لها بل استعملتها لمصالحها . شاعت عبادة الفردانية وتقديس الشمولية وتعطيل المؤسسات وحياكة الدسائس لتمزيق اردية البلاد والحط من حقوق العباد وكراماتهم ، جريمة انفصال تجربة الوحده ، هزيمة ٦٧ ، اكتمال اغتصاب فلسطين وضياع الاقصى واحتلال اراض عربية اخرى غير فلسطين . عما جرى ويجري في لبنان والعراق وليبيا والصومال واليمن من اقتتال داخلي غير مفهموم ، حدّث ولا حرج . وبالطبع ما سبق كل ذلك من اقتتال عرف في الاردن باسم ايلول الاسود عام ١٩٧٠ .

تحايلنا على منظومات احزاننا وخيبات امالنا بعفوية وبعذرية متميزة. حرصنا بلا انفصام على ان لا تنهزم قلوبنا وعقولنا وارواحنا . لنتحرر من ضغوط خيباتنا تلك خبأناها في جهود متصلة للمشاركة في عمليات ترميم عامة بعيدا عن ذواتنا الفردية.

لم يرتح لنا بال حتى الان ، ولم تهدأ لنا همة . لم تزل الهموم على عهدها منذ اكثر من سبعين عاما ، تعشق فلسطين كجزء من الوطن العربي الكبير ، وتوقظ الحنين لاهلها كجزء من امة العرب .

وقد تجاوزنا ما تجاوزنا من وقائع ومن وقوعات مؤلمة على الارض ، بعضها بالتأكيد مشبوه المحتوى او الادوات اوالمواقيت. في كل تلك السنوات ، سافرنا كثيرا بعيدا وقريبا. حرصنا على ان لا نتغير كثيرا فيما نملك ، وتغيرنا كثيرا في الشكل . ولكننا لم نصبح اشخاصا اخرين . لا نزال بحميمية اصيلة نصادق طفولتنا وصبانا وشبابنا . لم نعرف اليأس وان ألَمَّ بنا بين الفينة والاخرى شئ من التشاؤم العابر . لاننا نحب احلامنا ونحرص على ان لا تشيخ معنا ، لن نكف عن الحلم بها حتى لا تشيخ معنا يوما ما . اقول وعيوننا تلمع باحلام سنبقيها شابة طازجة نشط ، ان في داخل كل منا لا يزال وطن خاص ، يحتمي في حناياه ، لكل منا طرق يسلكها اليه وفيه . ولكن حبل السرة في هذه العلاقة يبدأ من هناك وينتهي هناك ، في مكان ما في فلسطين من بحر يافا وجبال الجليل ورمل غزة واول الماء في الاردن . مع كل ربيع تنبت لاحلامنا اوراق جديدة . تكاد تغطي وجه السماء . فنحن لا نلتفت كثيرا او مطولا الى ما يسقط منها على الارض .

الجيران أيام زمان



محمد بشير الوظائفي
خريج عام١٩٥٧

قيل ان عجوزا بكت على ميت . ولما سألوها بماذا استحق ذلك منها ؟ قالت : جاوَرَنا وما فينا الا من تحل له الصدقة ، ومات وما فينا الا من تجب عليه الزكـــاه !!

ذكّرتني إجابة تلك العجوز ، الصغيرة في كلماتها ،الكبيرة في معناها ومغزاها ، ذكّرتني بجيران الامس في الزمن الجميل . زمن الآباء والاسلاف حين كان الجار لا يفارق جاره ،ولا يفصل بينهما الا ما حرّم الله . كان كل جار سندا وظهرا لجاره يتطاعمان كل يوم ويتشاوران في كل شؤونهما وشؤون اسرتيهما ويتسامران ، اذا لم يقابل احدهما الآخر يوما سأل عنه خشية ان يكون قد اصابه مكروه او مرض ما ...

وكان الابناء ينشأون مع بعضهم وكأنهم اخوان اشقاء . يكبرون وتكبر وتنمو معهم المحبة والالفة ، كما نشأت بين آبائهم وامهاتهم قبلهم . تخيم المحبة على الجميع كما يعم التعاون والتعاضد والتراحم بينهم . واذا ما دعت الظروف احد الجيران الى ترك بيته والانتقال الى منطقة اخرى او بلد آخر فان الحزن والالم يغشى كل الجيران ،كبارهم وصغارهم ،قريبهم وبعيدهم، ولا تنقطع الصلة فيما بينهم حتى بعد مغادرتهم وتظل بينهم الذكرى على افضل ما تكون.

ومع شدة اهتمام العرب من ايام الجاهلية بحقوق الجار على جاره ودفاعهم عن بعضهم البعض لحماية الشرف والاهل ، فقد جاء الاسلام وحث على حقوق الجيران بعضهم لبعض وأكد على ذلك في الكتاب والسنة .

جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ! اني نزلت في محلة بني فلان ، وان اشدهم لي أذى اقربهم لي جوارا . فبعث رسول الله (ص) لأبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يأتون المسجد فيقومون على بابه فيصيحون : الا ان أربعين دارا جـــار .. ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه (أي شروره).

وكان لعبد الله بن المبارك جار يهودي اراد ان يبيع داره بسبب عسر مالي فقيل له : بكم تبيع ؟ قال : بألفين ! فقيل له : دارك لا تساوي الا الفا . فقال : صدقتم ! ولكن الفا للدار .. والفا لجوار عبد الله بن المبارك . ولما أخبر ابن المبارك بذلك دعا جاره اليهودي فأعطاه ثمن الدار ليحل عسرته وقال لــه: لا تبعها ! فلولا ما لقيه اليهودي من ابن المبارك من حسن الخلق وكريم المعاملة لما وقف من بيع داره ذلك الموقف.

وكم من الحكايات التي تؤكد لنا كيف كان الجيران يتعاملون مع بعضهم البعض وكيف كان الجار يسدد ديون جاره اذا اعسر واحتاج ، ويكف الاذى والسوء والظلم عن جاره . قال حسان بن ثابت في احدى قصائده :

فما احد منا بمُهد لجـاره أذاةً ولا ضر به وهو عائـــد
لأنا نرى حقَ الجِوار أمانـة ويحفظه منا الكريم المعاهـــد

أما عنترة بن شداد فقد قال:

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

هكذا كانت أحوال الناس وسلوكهم مع بعضهم البعض اذا كانوا متجاورين . فقد كانوا أهلا وأحباء واخوانــا! اما في هذا الزمن فقد جفت المشاعر وتحجرت القلوب ، وأصبح التراحم بين الناس عملة نادرة تبحث عنها بسراجك الضعيف وسط الظلام الدامس .. ظلام الحسد والأحقاد .. وظلام إسقاط الاعتبار للاعراف والتقاليد الأصيلة وتعاليم الدين . فأصبح الجار لا يعرف جاره ،وربما لا يتبادلان تحية الصباح او المساء ، بل تجاوز الأمر الجيران الى تباعد الإخوان عن بعضهم البعض ،والأبناء عن أهلهم ووالديهم ورحمهم ، وباتوا يلهثون وراء المادة والثراء وملذات الدنيا . فضاعت المحبة والمودة والألفة ،وحلت البغضاء والأحقاد وتفشى الحسد بين الناس ، فأصبح الحال كما نرى وكما نعيش ولم يعد هنالك الا ان نترحم على زمن مضى وانقضى مع السلف ...!

ولكن ، يظل أملنا الكبير في الأبناء المخلصين والجيل النقي ، فهم الأمل وهم المستقبل ، وهم الحلم الذي نرجو ان يتحقق !



عبدالله محمد أبو علم
خريج الفاضلية ١٩٥٦

موســـــى بـــن نُصيـــــــر

..... فلسطيني من جبال الخليل

استقرت القبائل العربية،و خاصة قبائل (بني عدي) في بلاد الخليل قبل الإسلام بقرون ، ومنهم (اللّخميون) الذين نزلوا جنوب فلسطين ، ثم انتشروا في أواسطها وشمالها ،والى هذه الديار تنتسب عائلة (نُصير) التي أنجبت احد صانعي التاريخ العربي، القائد الفذ الذي مهّد للعرب بفتوحاته دعائم دولتهم في أوروبا، وهو (موسى بن نصير) صاحب فتوح الأندلس الذي ذكره (ياقوت الحموي) في معجمه (٤-٤٧١) بأنه يعود بنسبه إلى جبل الخليل، حيث كلن والده (نصر) قد سُبي مع من تم سبيهم زمن ابي بكر الصديق، وجرى تصغير اسمه إلى (نُصير) ، ثم اعتقه فيما بعد بعض رجال(بني أمية)، فعمل في شرطة (معاوية) ، وكان صاحب همة ، حتى صار من قواد الجيش وحرس معاوية،وعندما وقعت الفتنة بين معاويةٍ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما،رفض (نُصير) ان يقاتل (عليّا)، ولما استتب الأمر لمعاوية، قال له يعاتبه على عدم مشاركته في قتال علي، ما منعك من الخروج معي ،ولي عندك يدّ لم تكافئني عليها؟ فقال نصير : لم يمكني أن أشكرك بكفري من هو أولى بشكريٍ منك . فقال له معاوية / ومن هو الذي أولى بالشكر مني ؟ فإجابة نصير : الله سبحانه وتعالى، فأطرق معاوية وقال : استغفر الله، وعفا عنه ، وسامحه.

وكان قد وُلد لنصير في عهد خلافه عمر بن الخطاب ولد اسماه (موسى)، وذلك في قرية (كفر مثرى) في جبل الخليل، وإن كان (فيليب حتي) يزعم أنه وُلد في (كفر متى) اللبنانية، وعاش موسى مع والده ، وتربى مع أولاد الخلفاء الأمويين، وبعد ان تعلم فنون القتال، شارك في فتح (قبرص)،وكان أحد قواد الأسطول الإسلامي، وعيَّن الخليفة الأموي مروان بن الحكم موسى بن نصير وزيراً لوالي مصر ولده عبد العزيز بن مروان (والد الخليفة عمر عبد العزيز)، وبعد مدة قصيرة قام والى مصر عبد العزيز بتعيين موسى بن نصير والياً على إفريقيا(وكان هذا الاسم يُطلق على الشمال الإفريقي: ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، عدا مصر)، وكانت منطقة تغلي بالاضطرابات ، لأن الإسلام لم يكن قد تمكن بعد من قلوب أهلها، ولان الفتوحات في هذه المنطقة كانت تمتد بسرعة ، وكان عدد المسلمين لا يكفي لضبط المناطق المفتوحة، وعمل موسى على ان يمتلك الإسلام قلوب(البربر)، فبثَّ بينهم العلماء والدعاة، وعندما دخلوا في الإسلام أفواجا قاتل بهم وغيرهم الفئات المتمردة،ولما وصل إلى منطقة القبائل التي غدرت «بعُقبة بن نافع» ، فاتح الشمال الإفريقي، قاتلهم قتالا شديدا ، فانهزم البربر من أهل (سجومة) وانتقم موسى لعقبة بن نافع من قاتليه،ودخل الآلاف في دين الله،وكان من بينهم قائد من قواد البربر هو (طارق بن زياد)، فأخضع موسى الشمال الإفريقي كلة ما عدا (طنجة) و (سبته)، ثم أرسل جيشاً بقيادة طارق بن زياد ففتح (طنجة)وولاه موسى عليها ،وعاد هو إلى (القيروان) عاصمة إفريقيا ،وانشأ قوة بحرية للمسلمين ، وأسس قاعدة بحرية في (تونس) حوت مائة سفينة حربية، واخضع (صقلية) و (سردينية) وجزر البليار)، فخضع البحر الأبيض المتوسط بشواطئه وجزره لسلطان المسلمين.

وتطلع موسى إلى اقتحام الأندلس، التي يصفها العرب بأنها (شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، وعدنيةٌ في منافع سواحلها)،فأرسل موسى الى الخليفة في دمشق الوليد بن عبد الملك يستأذنه باقتحام الأندلس(جاء اسمها من فاندلوسيا،اللقب الذي أطلقته عليها قبائل الفاندال، قبل ان يحتلها (القوط) الهمج الذين جاؤا من ألمانيا)،فكتب الوليد إلى موسى ان يقوم باستطلاعها ودراسة أحوالها وان لا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، وان على موسى ان يجرب الأمر أولا بالسرايا، فأرسل موسى سرية استطلاعية بقيادة (طريف بن مالك) في أربعة مراكب، فنزل في جزيرة حملت اسمه فيما بعد (طريف)، فهو أول مسلم من الشمال الإفريقي تطأ قدماه ارض الأندلس،و قدم (طريف) تقريره بأن الطريق إلى الأندلس سالكة، وفتح البلاد ميسور.

وحانت الفرصة عندما طلب والي(سبته) المساعدة من موسى بن نصير للقضاء على (لذريق)ملك القوط الذي اغتصب الحكم في الأندلس ،وقتل حاكمها الرسمي الملك حليف حاكم (سبته)، وعرض هذا على موسى ان يسلمه (سبته)، وان يترك له ان يقهر ملك القوط ويفتح الأندلس متى شاء على أن يعيد لأولاد الملك القتيل حليفه ،المزارع التي استولى عليها (لذريق)، فأرسل موسى جيشاً بقيادة (طارق بن زياد)،وعبر المضيق منطلقا من (سبته)،وتجمع الجيش الإسلامي على جبل صخري،عُرف فيما بعد باسم (جبل طارق) ، كما عُرف المضيق باسمه أيضاً ،واشتبك مع (القوط) يقودهم ملكهم (لذريق)قرب (الوادي الكبير) عام ٧١١ م، وانتصرت القلة المسلمة على جيش (لذريق) كثير العدد والعدَّة، وغرق (لذريق) مع كثير من اتباعه في مياه هذا الوادي ،وسار طارق يفتح البلدان بلدة فبلدة.

وقرر موسى بن نصير أن يلحق بطارق على رأس جيش قوامه(١٨) ألف مقاتل ، يقوده بنفسه، واجتاز المضيق قادما من (سبته) ،ونزل في جبل جنوب الأندلس،دُعي فيما بعد (جبل موسى)،و فتح الجزيرة الخضراء)،وهي مدينة أندلسية تبعد عن (سبته) (١٨) ميلاً هي عرض البحر في تلك المنطقة ، وأعاد احتلال (اشبيلية)، التي كانت قد ثارت بعد ان غادرها طارق مواصلاً فتوحاته، وسار موسى مع طارق، إخوة مجاهدين ، يدحضان كل ما قاله المستشرقون من خلاف بين القائدين، وفتح المسلمون (سرقسطه) وخيخون) وبقية مدن الأندلس في ثلاث سنوات ، سوى صخرة (بلاي) ، التي صارت فيما بعد مصدر إزعاج للمسلمين ،ومركز تجمع وتحرك للنصارى في تاريخ الأندلس اللاحق، وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك قد طلب من موسى وقف الفتوحات، تخوفاً على المسلمين من التوغل السريع في تلك المناطق النائية والعودة إلى دمشق،وترك موسى عمليات الفتح في شمال الأندلس انصياعاً لأمر الخليفة،وعاد هو وطارق بن زياد،وترك ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس التي جعل عاصمتها مدينة (اشبيلية)، وعبر هو ومن معه المضيق عائدا استجابة لأمر الخليفة،ووصل (القيروان)، ثم توجه إلى مصر وعاصمتها آنذاك (الفسطاط)،والتقى أبناء عبد العزيز بن مروان،وأكرمهم إكراماً يليق بأفضال أبيهم السابقة عليه،وواصل سفره الى فلسطين ،ومعه من الأموال التي غنمها،والتيجان والموائد المصنوعة من الذهب الخالص بفاخر الدرر والياقوت والزبرجد،ومن نفيس الجواهر والأمتعة ما لا يُحصى ،كما اصطحب معه(أربعمائة) من افراد السلطة القوطية المالكة للأندلس سابقاً،وضم الى موكبه (مائة رجل من أشراف الناس والأنصار وسائر العرب الذين ساهموا في فتح الشمال الأفريقي ،كما اصطحب معه نفرا من كبار رجال (البربر)،ولما وصل الى فلسطين على رأس هذا الموكب الضخم استضافه (آل روح بن زنباع)، الذين يعودون بنسبهم وأجدادهم الى قبيلة (لخم)، التي تجمعهم بموسى بن نصير، ونحروا له (خمسين) جزورا ،وأقام عندهم يومين في بلاده فلسطين،وخلف بعض أهله وصغار ولده عنده ومرَّ هذا الموكب العظيم ،موكب النصر الرائع ببحيرة (طبريا)وغورها ، فشهدت سواحل بحيرة طبريا عام ٧١٥ م يوماً مشرقاً في تاريخ العروبة والإسلام ،ونعنى به مرور موكب النصر بقيادة موسى بن نصير اللخمي الفلسطيني الذي قال عنه المؤرخ فيليب حتى: (ولئن كان هناك حدث يمثل المجد الأموي في أوج عظمته، فلا جدال أنه هذا الحدث) ،ولما وصل الموكب دمشق استقبل الوليد بن عبد الملك هذا الموكب في المسجد الذي كان قد فرغ حديثاً من إتمام بنائه بجوار قصر الخلافة،واستعرض الوليد في مسجده الأسرى من ملوك وأمراء وأعيان البلاد المفتتحة، الذين ارتدوا تيجانهم وأفخر ثيابهم المطرزة بالذهب والفضة،وقال فيليب حتّي: (وكان ذلك اليوم يوما مشهودا من أيام النصر في الإسلام،إذ لم يسبق ان شوهد مثل هذا العدد من أمراء الغرب والأسرى الأوروبيين ذوي الشعور الصهباء،وقد جاؤوا يقدمون خضوعهم لأمير المؤمنين)، وبعد ذلك الاستعراض،أقيمت صلاة الشكر لله تعالى ، ثم دعا الوليد موسى بن نصير فخلع عليه الخلع،وأجازه بخمسين ألف دينار،ومنح أولاده مرتبة الشرف العالية ،أي المكانة الممتازة في المجتمع ، كما أحسن لمن كان مع موسى من قريش والعرب والبربر وقدم لهم العطايا والمنح.

والجدير بالذكر انه لم يُهزم لموسى بن نصير جيش قط، مثله مثل خالد بن الوليد، وقد سأله سليمان بن عبد الملك قائلاً، أخبرني كيف كانت الحرب بينك وبين عدوك، أكانت عقباً ، أي يُوم نصر ويوم هزيمة؟فأجاب : لا يا أمير المؤمنين ، ما هُزمت لي راية قط، ولا فُض لي جمع، ولا نُكب المسلمون معي نكبة، منذ ان اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت على الثمانين (ص ٩٦-مجلة الوعي الإسلامي – العدد ٩٩- نيسان ١٩٧٣ – الكويت)،وذكر المؤرخون أنه في عهد موسى بن نصير تم إسلام المغرب الأقصى،وروي ان هذا البطل كان يفكر بعد فتح الأندلس في العودة إلى دمشق عن طريق فرنسا وألمانيا والقسطنطينية وآسيا الصغرى) وإخضاع هذه الأقطار لدولة العرب والإسلام ، غير أن الذي أعاقه عن ذلك أمر الخليفة له وإلحاحه عليه بالعودة إلى دمشق ،وفي هذا يقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب –صفحة ٢٦٧): لو وفق موسى بن نصير لذلك، لجعل أوروبا مسلمة ، ولحقق للأمم المتمدينة وحدتها الدينية،ولأنقذ أوروبا من ظلام القرون الوسطى،الذي لم تعرفه اسبانيا بفضل العرب والمسلمين.

والمعتقد ان موسى بن نصير توفي عن (٧٨) عاماً ،وانه مدفون فوق قمة جبل (أم ناصر)، المشرفة على بلدة (العلا) ،وهي بلدة صغيرة إلى الشمال من المدينة المنورة،وعلى الطرف الجنوبي لوادي القرى،وسكانها من عرب (حرب)و(جهينة)و(عنزة)و(بني صخر) الذين ينتسب إليهم الكثير من الفلسطينيين ، وتحمل المدرسة الثانوية فيها اسم (مدرسة ابن نصير) ، تخليداً لذكرى هذا القائد العظيم ، والذي برز من سلالته ابنه (عبد العزيز) الذي ولاّه أبوه إمارة الأندلس عند عودته إلى الشام، وحفيده(عبد الملك) الذي ولاه(مروان بن محمد)ولاية مصر عام ١٣٢ هـ، فكان آخر أمير ولي مصر زمن بني أمية،وحفيده الثاني (معاوية) والذي ولاه الخليفة العبَاسي (أبو جعفر المنصور) على خراج مصر.

أما ما تذكره بعض المصادر من نهاية مؤلمة لموسى بن نصير ، من ان الخليفة سليمان بن عبد الملك سجنه،وصادر جميع أمواله،وأمر بإقامته في الشمس المحرقة،وفرض عليه غرامة باهظة ، بل تمادت بعض المصادر فزعمت ان سليمان بن عبد الملك أمر بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، الذي بقي والياً على الأندلس، بعد عودة والده الى بلاد الشام،وأن موسى ترك يتسول في أواخر أيام حياته.....إن كل هذا ليس إلاّ تشويها لتاريخ مجيد،إذ لا سند ولا صحة لهذه الادعاءات، خصوصاً وان تاريخ الأندلس دَخَله تحريف كبير من بعض الكتاب الغربيين، الذين لم يلتزموا الأمانة العلمية،وتبعهم بعض المستعربين من أبناء الشرق في هذا الانحراف عن الحق والحقيقة،ولعل حرص الخليفة سليمان بن عبد الملك ان يكون موسى بن نصير رفيقاً له في رحلة حجّه يفند كل هذه الأوهام والأباطيل والاتهامات.

وأخيراً.... لك الله يا بلادي فلسطين، كم سار على ثراك من كرام الرسل والأنبياء،وكم أنجب ترابك الطاهر من افذاذ الأئمة والعلماء والمفكرين والأدباء ، من الإمام الشافعي إلى القاضي الفاضل والعسقلاني وغيرهم مما لا يحصيهم عد، وكم حوت أرضك الطاهرة من أشراف الصحابة والفاتحين ومن الشهداء الخالدين،ومن عظام القادة الغر الميامين ... من أمثال (موسى) إلى (أبي موسى عبد القادر الحسيني)..بوركت أيتها الأرض الطاهرة المقدسة، منذ ان خلق الله الأرض والى يوم البعث، ياأرض المحشر والمنشر.

(ونجينا لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) صدق الله العظيم

لجنة زكاة طولكرم المركزية
بذرة خير... وثمرة عطاء...

تعتبر محافظة طولكرم (بقراها ومخيماتها وبلداتها وضواحيها)من المناطق المنكوبة بأرضها التي تمت مصادرتها ،وجدار الفصل الذي يقطع أوصال البلد ويقلل من فرص العمل والإنتاج ،مما يجعل الأهل في محافظة طولكرم شمال فلسطين من الأيتام والمسنين وأبناء الأسر الفقيرة المحتاجة وفي مخيمات اللاجئين في هذه المحافظة يعيشون أوضاعاً اقتصادية صعبة،وظروفاً اجتماعية قاسية تتلخص في ان نسبة البطالة فيها تعادل ٣٤٪ في ظل الاكتظاظ السكاني فيها والبالغ ١٨٠,٠٠٠ نسمة / كم .كذلك نسبة الفقر التقريبية اكثر من ٣٠٪ولكي تخرج محافظة طولكرم من هذا الواقع فإنها تحتاج إلى العديد من المشاريع الخيرية في مجالات الإغاثة الإنسانية والصحة والتعليم وكفالة الأيتام والأسر الفقيرة.

وبما أن باب العمل الإنساني التطوعي هو جزء من الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ومن اجل القيام بهذا الواجب، كان لا بد من إيجاد مؤسسات فاعلة تحمل هذه الهموم،وتأخذ على عاتقها حمل هذا العبً الذي أنيط بها ،وهو تقديم المساعدات لكل هؤلاء المحتاجين ، عملاً على تحقيق الواجب الديني والشعور الإنساني وتعميقاً لمفهوم وثقافة العمل التطوعي، ويدا بيد وبالتعاون مع الهيئات والمؤسسات وأصحاب الأيادي البيضاء ،سواء من خلال قوافل الخير من خارج الوطن او من خلال ما يقدمه أو يجود به أبناء الوطن الغالي فلسطين.

ومن هنا يأتي دور لجنة زكاة طولكرم المركزية التي أصبحت الحاجة لوجودها مُلحّة في ظل الواقع الذي تعيشه المحافظة، وهي لجنة خيرية تطوّعية غير ربحية ذات طابع إنساني خدماتي، وليس لها أي انتماء حزبي أو توجه سياسي، وتتمتع بالصفة الاعتبارية مالياً وإدارياً، تعمل في محافظة طولكرم (المدينة ، القرى، الضواحي والمخيمات) بالتعاون مع المؤسسات والهيئات الخيرية وأهل الخير داخل الوطن وخارجه، وهي لجنة مرخصة رسمياً تعمل تحت إشراف صندوق الزكاة الفلسطيني في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في دولة فلسطين، وتقوم اللجنة منذ بداية تأسيسها في العام ١٩٨١م وحتى يومنا هذا في العام ٢٠١٣م على مدار (٣٢) عاماً بكل ما لديها من امكانات متواضعة لفتح أبواب الخير على مصارعيها لرفع العبء عن المواطنين وتحسين الحال ولو بأقل القليل، حيث تعمل اللجنة على :

تأمين الكفالات للأيتام وأسرهم، وللأسر الفقيرة والمحتاجة ولذوى الاحتياجات الخاصة ورعايتهم في مجالات:»المعيشة والصحة والتعليم والتأهيل « .

توزيع الزكاة والصدقات والمنح والهبات على مستحقيها وفق مصارف الزكاة وحاجات المستفيدين والمصلحة العامة.

إجراء الدراسات للتعّرف على العائلات المستورة والفقراء والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة وجيوب الفقر لتقديم المساعدات الممكنة لهم .



د.بشار عدنان الكرمي
خريج ١٩٧٨

تحسّس حاجات المجتمع، والعمل على تنفيذ مشاريع إغاثية إنسانية متعددة، منها مستشفى الزكاة، والعيادات الخيرية ،ومدارس الإسراء النموذجية ورياضها ،ودور رعاية الأيتام ،ومنها مركز وتأهيل اليتيمات اللاتي فقدن المعيل ليصبحن فاعلات ولهن دور إيجابي في المجتمع، والذي هو في طور التشطيب النهائي والتأثيث، إضافة إلى المشاريع الوقفية والإنتاجية كعمارة الصدقة الجارية، ومزرعة الزكاة، ومنحل البر، ولا ننسى المشاريع الميدانية (سنابل الخير) الذي يتم تغطية سنابله من المحسنين من أهل محافظة طولكرم حيث يضم (٩) سنابل هي : سنبلة كفالة اليتيم، وكفالة الأسرة المحتاجة، وكفالة الطفل المحتاج، والصدقة الجارية، والطرد الغذائي، وسنبلة الأضاحي، والرغيف الخيري، وتأمين علاج أسرة محتاجة، وكسوة الطفل الفقير.

وتعمل لجنة زكاة طولكرم المركزية برؤيا : أن تكون اللجان الخيرية هي العنوان والاختيار الأول لدافعي الزكاة والمتبرعين وأهل الخير لتنفيذ برامجها ومشاريعها من أجل العمل على تحسين أوضاع المحتاجين والفقراء والأيتام بصورة تؤمن لهم حياة أفضل تليق بإنسانية المواطن الفلسطيني وكرامته.

وتحمل اللجنة رسالةً فحواها : الزيادة في العمل الخيري المؤسسي التربوي والصحي والإنساني والتعليمي لخدمة الفقراء والأيتام والمحتاجين .

قال الله تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" .

قال صلى الله عليه وسلم: " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما " .

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وداووا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ" .

فلجنة زكاة طولكرم المركزية تسعى لسدّ حاجة المحتاجين ...من اجل أن تصنع من حاجة الأمس واليوم .. اكتفاء الغدّ ..

المدرسة والمكتبة الاحمدية في عكا



فواز روحي جرار

في العالم العربي والإسلامي معالم حضارية ودينية ومنارات علم ونور تنير قلوب البشر بالمعرفة والموعظة الحسنة لرفع الكلمة إلى اسمى مدارجها وعلوها لتحيا البشرية بالمحبة ونشر الأديان في العالم ليسود الود والمحبة على مدى الحياة.

في مدينة عكا العظيمة معالم تقدر بالعشرات وعلى مدى التاريخ، ولكن فيها منارة أضاءت بنورها المنطقة وهي تشبه في مضمونها الأزهر الشريف في مصر، والأقصى في بيت المقدس، ومنارات أخرى في هذا العالم العربي والإسلامي مثلها ،ألا وهي المدرسة الاحمدية القائمة في مجمع الجزار الخيري.

من اعمال احمد باشا الجزار ١٧٢٠-١٨٠٤ في هذه الديار رغم ما قيل ويقال في حق هذا الوالي العثماني وهي صورة السفاح الذي يجد متعة في إراقة الدماء ، ومصادرة أموال الآخرين سواء كانوا من خصومه او من الأغنياء،ولست هنا في مجال هذه الصورة بل انه قد آن الأوان لإعادة تقييم احمد باشا الجزار الذي تعهد بالحفاظ على وجود الدولة العثمانية وإحكام سيطرة السُّنة ، المذهب الرسمي للدولة العثمانية ، وكذلك إزاء تحركات العشائر العربية وخاصة التي خرجت منها دعوه جديدة هي الدعوة السلفية الإسلامية الوهابية. وهذا بالإضافة إلى استشراء تدخل الدول الأجنبية في شؤون الدولة العثمانية. ومن هنا يتبين ان احمد باشا الجزار كان يحاول إنقاذ الدولة من دمار كانت مقبلة عليه.

وكان من منجزات الجزار العمرانية في مدينة عكا الفلسطينية والتي مازالت تخلّد ذكراه ثلاثة اثار تمثل الروعة الهندسية في العمارة الإسلامية في القرن الثامن عشر الميلادي وهي المسجد والسبيل والسوق،وهذه الآثار رفعت عالياً اسم احمد باشا الجزار ، فالمسجد على سبيل المثال لا يزال حتى اليوم يحمل اسم جامع الجزار.

وفيما يتعلق بدور هذا الجامع في ذلك العهد، فانه لم يقتصر على اقامة الشعائر الدينية بل شمل الى جانب ذلك مدرسة للتعليم عرفت بالمدرسة الاحمدية أيضا وسميت باسمه ومكتبة ملحقة بالمسجد وعرفت بالمكتبة الاحمديه.

وفيما يتعلق بوضع المدرسة أي المعهد الديني فإنها فقدت معظم مقوماتها ولم يبق منها سوى الأثر بعد العين الذي يدل على انها كانت مكانا للتعليم وذلك نتيجة المعاناة التي قاستها هذه المدينة كغيرها من مدن فلسطين في عام ١٩٤٨.

اما المكتبة فما زالت بعض موجوداتها حتى اليوم، اعني بذالك المخطوطات التي تحمل بعضها تواقيع الجزار نفسه. وتبحث معظم مخطوطات هذه المكتبة في أمور فقهية، وفي اللغة العربية، وفي علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والتراجم، والسير والتصوف والحساب والمنطق وعلم الكلام والتجويد والتفسير والتوحيد وعلوم البلاغة والأدب العربي والتاريخ والجغرافيا والحساب والجبر والهندسة والطبيعة العامة.

المدرسة الاحمديه

تقع هذه المدرسة ضمن مجمع الجزار الخيري حيث أنشأها احمد باشا الجزار سنة ١٧٨١ في نفس السنة التي انشأ فيها جامعه المعروف بجامع الجزار أو جامع الأنوار وهو ثالث أبنية فلسطين التاريخية المشهورة بعد المسجد الأقصى ومسجد الخليل إبراهيم عليه السلام ، وهو من طراز مسجد محمد علي باشا الكبير بالقلعة بمصر ونسق مصغر من هندسته وبنائه ،وانشأ حول المدرسة والجامع ما يزيد على خمس وخمسين غرفة ، اربعون منها أعدها الوقف لتكون سكناً للطلاب وخمس عشرة غرفة أعدها للدراسة والإدارة وقد رتب منها القسم الداخلي الخاص بمنزل الطلاب ،وأنشئت لتكون معهداً دينياً إسلاميا تدرس فيه العلوم الدينية والعربية على نحو ما هو معروف في الأزهر الشريف.

وقد تولى التعليم فيها جماعة من كبار علماء فلسطين ،حيث تعاقبوا على التدريس فيها طوال الفترات السابقة، نورد أسماء بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر وهم: الشيخ عبدالله الجزار، والشيخ جمال الدين السعدي،والشيخ مشهور بركات الضامن والذي كان آخر مدير للمدرسة الاحمدية قبيل احتلال مدينة عكا في عام

١٩٤٨ م، والشيخ علي حيدر ،إبراهيم العكي،على نور ، الشيخ محمد حفظي ، الشيخ على ميري، الشيخ محمود افندي القبلاوي، الشيخ محمد افندي اللبابيدي ، الشيخ صبحي افندي خيزران، الشيخ رمزي افندي سليمان، الشيخ حامد افندي طهبوب، عبد الرؤوف العبوشي، الشيخ عزة افندي مرعي، الشيخ عزيز افندي حبيشى، الشيخ بدر الدين افندي، حسن دياب، الشيخ حسين الداسوقي،الشيخ فواز صالح، الشيخ صالح المصري، الأستاذ سعود البرغوثي، والأستاذ عبد الرحيم مفلح.

هذا وقد أدت هذه المدرسة رسالتها فيما مضى، وتخرج منها عدد من الرجالات انتفعت بهم البلاد ، وكان عدد الطلاب إلى عهد قريب يزيد على مائة وخمسين طالباً، أربعون طالباً في القسم الداخلي والباقي يغادرون إلى منازلهم يومياً.

كانت المدرسة الاحمدية تضم أربعة صفوف ليست بالابتدائية ولا بالثانوية ،ومدة الدراسة فيها خمس سنوات، ويتم قبول الطلاب المتخرجين في السنة الرابعة الابتدائية في فلسطين ليلتحقوا بالسنة الأولى فيها، وتسمى هذه السنة (الصف الخامس الابتدائي) ثم ينتقل الطلاب منها إلى السنة السادسة فالسابعة ثم إلى القسم الثانوي ومدته سنتان تنتهي بها الدراسة في المدرسة ،كما ان دروسها مزيج من الدروس الدينية. وهي الأكثر والدروس العصرية وهي الأقل .ولا يشترط في طلابها شروط معينة فهي تقبل الصغير والكبير ممن أتموا الابتدائية ، وكان بعض من هؤلاء الطلاب من حوران وعجلون، أي من خارج منطقة فلسطين وفيها عدد قليل من شراكسة المنطقة الشمالية، والباقي وهم من قرى بني صعب وجنين وبيسان وقليل من قرى المنطقة الشمالية.

وقد ازدهرت هذه المدرسة حيناً من الزمن وامَّها طلاب كثيرون من جميع انحاء فلسطين ومن خارجها وذلك لشهرتها وفضل مدرسيها العلماء المخلصين، وتخرج منها طلاب نابغون شغلوا مناصب في التعليم والوعظ والإرشاد والمحاكم الشرعية.

لقد بعث الله لهذه المدرسة عالمين جليلين هما المرحوم الشيخ عبدالله الجزار مفتي عكا، والشيخ جمال الدين السعدي في زمن السلطان عبد الحميد، فبذل المفتي عبدالله الجزار مجهوداً عظيماً مع ذوي الأمر ممن لهم كلمة عند السلطان المذكور،فصدرت الإرادة السنية بفتح أبواب المدرسة بعد إغلاقها فترة قصيرة، واستثناء طلابها من الخدمة العسكرية . وأمّها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، وذلك في سنة ١٨٠٢ وترأس إدارتها الشيخ عبدالله الجزار وكان يدرّس فيها العلوم الدينية ومعه نخبة مختارة من أهل العلم والفضل ،وعين الشيخ جمال الدين السعدي مساعداً للمدير.

ولمواكبة روح العصر ولرفع مستوى هذه المدرسة الثقافي والنظامي ، فقد كان هناك توجه من قبل الشيخ السعدي ان تكون المدرسة نظامية دينية تدرس فيها شتى العلوم العصرية واللغة الانجليزية، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم رفع الأمر من قبل المفتي المذكور لدائرة المعارف في حكومة فلسطين.

كانت المدرسة الاحمدية تعطي شهادة رسمية تُمنح من المجلس الإسلامي الأعلى في القدس الشريف ،وهي تؤهل المتخرجين للقيام ببعض الوظائف الدينية والتدريس بالمدارس .مما يجدر ذكره في هذا السياق ان الأزهر الشريف كان يعترف بشهادتها حيث كانت تعرف في فلسطين بالأزهر الصغير،على اعتبار ان الأزهر الشريف بمصر هو الكبير.

ولرفع مستوى المدرسة الاحمدية التعليمي والرغبة في طلب يد العون والمساعدة .فقد جرت في الأربعينات من القرن الماضي عدة مراسلات فيما بين المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين والحكومة المصرية حيث فوض الشيخ مشهور الضامن للتحدث نيابة عن المجلس المذكور ، حيث تم عرض الأمر على شيخ الأزهر وعلى رئيس ديوان الملك فاروق والذي ابدى دعمه ومساعدته بإرسال مدرسين من مصر ممن يحملون الدرجات العليا ليتولوا التدريس في المدرسة وعلى نفقة الحكومة المصرية .

المكتبة الاحمدية

تقع ضمن مجمع الجزار الخيري أيضا وتتبع المدرسة الاحمدية اشترط الواقف على ذلك في كتاب وقفه المشهور وذلك لبث علوم الدين ،واشترط الواقف ايضا ان يكون للمكتبة حافظ للكتب والمدرسة ، كما رتب له راتبا يتقاضاه مقابل عمله في المحافظة والنظارة.

وموقع المكتبة في الركن الشرقي الشمالي من الأروقة المحيطة بصحن الجامع، وقوامها قاعة كبيرة تعلوها قبة كرويه الشكل ، ترتكز على قبة ثمانية الشكل ، ويتخللها ستة شبابيك حيث تأتي هذه القبة في الحجم بعد القبة التي تغطي حرم الجامع فوقها ويعلو مدخلها لوحة كتابية تحمل عبارة (فيها كتب قيمة) وهذه إشارة الى مكانة هذه المكتبة ،ولكن الأهم من ذلك انها فعلاً كانت تحتوي نفائس الكتب والمخطوطات،وقد ذُكر ان احمد باشا الجزار قد انتزع خزانة الشيخ خير الدين الرملي مفتي الرمله وخزائن كتب دير المخلّص ومكتبات جبل عامل في لبنان، هذا وقد ذكر السائح الفرنسي فولني هذه المكتبة، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حيث اشار إلى ان مجموع كتبها كان حوالي ثلاثمائة كتاب،ولكن هذا الرقم قليل جداً سيما وان الجزار قد استولى على مكتبات عده نقلها إلى مكتبته. التي كانت، تدعى (مكتبة نور احمديه). وما يمكن قوله ان الجزار قد أوقف بعضاً من المخطوطات على القراء في المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة والتي لا يعرف عددها بالضبط ، ولا من أي مكتبة كانت اللهم إلا انها وقف الحاج احمد باشا الجزار.

جددت محتويات هذه المكتبة عام ١٩٠٥ وتم تصنيف كتبها فبلغ عددها ١١٩٩ كتاباً ،بينها ٤٨٨ كتاباً في التفسير والحديث والقصص النبوي و ٦٩ كتاباً في اللغة والتصريف والأدب، وأما الكتب الباقية فتبحث في التاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم.

معروف رفيــق ..
كمــا عرفتــــه



فتحي ذيب نمر

وتمر الذكريات عزيزة غالية، ولكن تبقى الذكريات العزيزة محفورة في القلب أبدا، لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان ،وإنما تحددها الأحداث والمواقف ها أنا اليوم أرتحل من جديد إلى مدينة عنبتا في فلسطين الحبيبة. وإن كنت قبلاً قد ارتحلت مرات ومرات الى عنبتا ولكن اليوم رحلتي ،وبحق، تختلف عن سابقاتها. اليوم أرتحل وصورة ما زالت ماثلة أمامي والشيخ الجليل الخطيب المفوه والشاعر البليغ والأديب المتمكن رفيق عبد الحليم محمود الفقهاء يصطحب نجله معروف إلى مسجد عنبتا، الى المسجد الذي عرف شيخنا الجليل لسنوات عديدة خطيباً واماماً وواعظا ، بل ومقاوماً بسلاح الكلمة، في هذه المدرسة نشأ معروف في بيت علم وأدب، في بيت معظم أفراده إما شعراء أو أدباء، هكذا كان برهان واديب ومعروف ابناء الشيخ رفيق ومن قبلهم عبد الرحيم محمود وطارق عبد الكريم وغيرهم.

ومعروف «ابو طراد» الذي عرفت، وعرفه كل أبناء قطر وفلسطين،ولد في عنبتا عام ١٩٣٥ في العشرين من نوفمير، وحصل على الثانوية العامة (المترك) من المدرسة الفاضلية في طولكرم عام ١٩٥٣ م وبتفوق ملحوظ ليعود زميلا لأساتذته ومدرسا لزملائه من الطلبة .وما كان هذا ليحدث لولا تفوقه واجتهاده وشغفه بالعلم والتعلم.وما كانت الوظيفة التي يحلم بها الكثيرون لتثنيه عن مواصلة الدراسة اذ كان قد سافر الى مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية،ومن ثم إلى دولة قطر / الدوحة ليواصل دراسته في جامعة بيروت العربية في كلية الحقوق ليؤسس قسم الإعلام التربوي بوزارة التربية والتعليم القطرية. وما ان انطلقت إذاعة قطر من الدوحة في العام ١٩٦٨ حتى انطلق معروف من جديد باسهاماته المتعددة في إذاعة قطر من خلال مسابقات رمضان، وخواطر إذاعية في كل صباح يتلقفها محبو الأدب ومحبو الكلمة الجميلة والصوت الرخيم .وفي مساء كل ثلاثاء كان معروف رفيق يبحر في زورقه يرافقه أديب او عالم او سياسي ، يرحل معه في أفكاره ومؤلفاته ومشاعره في رحلة بحرية شاعرية علمية سياسية لتبقى ذكريات من ارتحلوا بزورق معروف رفيق وهم أكثر من مئتي شخصية .لتبقى هذه المحطات الأدبية إضافة إلى قصائد وأناشيد «أبى طراد»المغناة،ومقالاته الكثيرة مَعلما من المعالم التي تفخر بها إذاعة قطر. ومعروف رفيق وإن ابتعد عن موطنه فلسطين ومدينته عنبتا إلا أنه بقي فلسطيني المنشأ والهوى. من هنا كتب شاعرنا ابو طراد أكثر من قصيدة في فلسطين، بل وله أكثر من ديوان يضم القصائد التي تتغنى بفلسطين ،بجمالها وآماله، بالقدس ومكانتها وعظمتها .. قصائد شامخة رائعة ضمها ديوان (فلسطين ، الجرح والطريق).

نعم لقد كان معروف متابعا يقظا لقضايا أمته، منفعلا بها متألما لألامـها ... لقد كان متعدد الجوانب تربوياً ، إذاعيا، صحافيا ،حقوقيا ،عسكريا لكن وككل الكبار والعظماء كانت حياة معروف أشبه بالحلم القصير ،وكأني به أنه كان يعرف ذلك منذ البداية فجمع زينة الخلق ورجاحة العقل وعطر المحبة وراح يضع حلمه في كل ذلك ويصوغه ليصبح فيما بعد حديثه لكل من عرفه ولكل من أحبهم وأحبوه. بهذا آمن معروف، آمن بصفاء الكلمة ونقائها، وكان يعلم حقيقتها ومعناها فجمع بعمله مضاء العزيمة،وعمق الإخلاص وبهاء الإيمان . آمن بأن الظلام في قبر الكبير تطرده المحبة كل صباح بألف شمعة ،ويمحوه الوفاء كل مساء بألف مصباح .من هنا يظل الكبير بعد مماته حياً في قلوب أحبائه ومريديه ،حياً عند الناس أجمعين.

رحل معروف من دار الفناء الى دار البقاء ،وخبا النور الذي كان يشع في كل مناسبة، شاعرا مبدعا ،ومناظرا متميزا، وناقدا حاذقا ،ليثرى المكتبة العربية والثقافية والأدبية بعدد من الدواوين والمقالات والبرامج الإذاعية ، نعم رحل معروف والقدس مكبلة بقيود حالت دون ان يحقق أبو طراد أمنيته بالتغني بالقدس من خلال ديوان كامل خصصه لها .. لعل هذه القصائد تشفي جرحا غائرا في الجسد نعم غيب الموتُ أباطراد في الحادي عشر من شهر مايو (أيار)عام ٢٠٠٥ لكن ذكراه لم تغب أبدا ولن تغيب ، نعم رحل «ابو طراد »بجسده ،ولكن ها هي دواوين شعره الثمانية يتداولها عشاقه، بل عشاق الكلمة الجميلة ، ينهلون منها حب الوطن حيث أنشد لبغداد ولبنان وفلسطين والأردن والجزائر ومصر حتى أصبحت دواوينه عربية النكهة إسلامية المقاصد عالمية الاتجاه إنسانية المعاني.

هذا الشاعر الرقيق الذي رغم البعد بقيت عنبتا بسهولها ووديانها وبناياتها وزيتونها ،أشجار اللوز فيها ،بقيت القدس بأبوابها بتاريخها بشموخها بمآذنها بكنائسها ،بكل ذرة تراب فيها رفيقة دربه ووجدانه.

ورغم سعة العيش حيث كان معروف يقيم، إلا ان قصائده المتبادلة مع صديق عمره مع شقيقه برهان يبث فيها ألم البعاد والفرقة والأشواق للوالد الذي أحبوه، لخالد ونعمان وأديب ووليد وعوني لتلك الدار التي جمعتهم، لشجرة الليمون والزيتون في فنائها لزقزقة الطيور على أغصانها.

شخصية العـــدد

من غير ما مقدمة لهذه المقدمة أبادر إلى القول بأن ضيف هذا العدد وشخصيته هو الدكتور يونس شناعة الذي لا يختلف اثنان في انه ،بحق، وعن جدارة ،شخصية مميزة لا في مجال تخصصه ،وهو طب الأطفال الذي نبغ فيه وبرع ،وأصبح فيه مرجعاً ثقة،وعلَما يطمأن إليه،ولكن في مجالات وحقول أخرى ستقفون عليها في هذا اللقاء.

نحرص في صدى الفاضلية كل الحرص على ان يبقى باب "شخصية العدد" ويستمر، ليس بهدف التعريف بهذه الشخصية أو تلك ،أو مدحها والثناء عليها والترويج لها،إذ لو لم تكن هذه الشخصية معروفة وناجحة،وشهرتها واسعة أصلاً لما اخترناها ولا اقتربنا منها.

الغرض من اختيار الشخصية ان نستخرج ما لديها وما تختزنه في داخلها وفي أعماقها من كنوز المعرفة والتجارب والخبرات وقصص الكفاح والنجاح ،لتفيد منها هذه الأجيال واللاحقة عليها ،تقتدي بها وتحذو حذوها،وتنسج على منوالها.

الغرض ان يقف شبابنا وأجيالنا الطالعة على تاريخنا ،وان يعرف ماضينا،وان يتمثل ثقافتنا،ويحافظ على تراثنا،الذي هو مكون أساسي واصيل في هويتنا.

الدكتور يونس ،هو خير من يلقى الضوء على حقبة هي من أصعب الحقب التي مرت بشعبنا ومن أشدها قسوة وقتامة ،ومن أكثرها معاناة ومرارة.وهذا الوصف او التأريخ الذي برع فيه د. يونس وأجاد،لا ينسحب على ام الشوف ،فقفين ، وعتيل وحسب ،ولكنه يتعداها الى سائر القرى والمخيمات التي ذاق فيها الناس صنوف الذل والهوان .هي مجرد نماذج لما كانت عليه حياة الناس في تلك الحقبة.

هذه الحقبة هي جزء من تاريخنا الذي لا يجوز لنا ان نُغفله او نتنكر له او نخجل منه لأن فيه الكثير والكثير من العظات والعبر.

تنوية: نظراً لأهمية هذا اللقاء ،ولما فيه من فائدة ومتعة، فقد حرصنا على ان لا نجتزئ او نحذف منه ،ونظراً لطبيعة مجلتنا وحجمها فقد رأينا ان ننشره على عددين ،فنقف في الجزء الأول عند سنة معينة من رحلة الدكتور يونس ،ونستكمل ما تبقى منها في العدد القادم.


الدكتور/يونس شناعه

أجرى هذا اللقاء سكرتير التحرير
عبد القادر حطاب

السؤال الأول :

في مستهل هذا اللقاء ،أرجو ان تقدم نفسك،وعلى النحو الذي تراه، لقراء صدى الفاضلية فتقول لهم من هو د.يونس شناعه؟

الجواب/أنا الدكتور يونس مصطفى صالح شناعه، طبيب أطفال، أسكن في حي المدينة الرياضية في عمان،وأمارس المهنة في عمان منذ عام ١٩٧٥ ،وعلى رأس عملي في عيادة طب الأطفال حتى اليوم بدوامين :صباحي ومسائي.

السؤال الثاني :

ولدت في قرية أم الشوف / قضاء حيفا ، كما اعلم ، أرجو ان تعطي للقارئ فكرة عن هذه القرية: موقعها، سكانها، تركيبتهم، عملهم الأساسي، العلاقات فيما بينهم وماذا حلّ بها بعد نكبة ١٩٤٨م؟

الجواب/ ولدت في مطلع عام ١٩٣٩ في قرية صغيرة اسمها (أم الشوف) ، سكانها بضع مئات من الناس ، كانت تابعة لمدينة (حيفا) حسب تقسيمات الانتداب البريطاني الإدارية وكانت بيوتها الحجرية موزعة على مرتفع من الأرض من قمته إلى سفحه ،وكان في إمكان الناظر من قمتها أن يرى قرى مرتفعة أخرى قريبة من (حيفا)، مثل (أم الزينات) ؛ بمناسبة تسمية القرى في تلك المنطقة فقد تكرر ذكر (الأم) في كثير منها مثل (أم الفحم)،و (أم الدفوف)و... هكذا. كان أهل (ام الشوف) فلاحين وأهل مواشٍ،فبالإضافة إلى زراعة القمح والشعير والذرة(البيضاء)والسمسم، كان لديهم الأغنام بلونيها،والبقر،وقليل من الجمال؛ وكانوا يقتنون الخيل كوسائط نقل،ولحراثة الأرض و(دَرس) المحاصيل في الصيف تجرّ(لوح الدراسة)الثقيل والمرصّع سطحه الباطن بالقطع الخشنة من حجر (البازلت)شديد الصلابة،لتحطيم القش واستخراج بذور القمح والشعير والذرة من جيوبها–وللسباق

في الأعراس!

كانت (أم الشوف)- فيما اذكر – كثيرة الينابيع- مما شجع ويّسر على الأهالي زراعة النباتات المسقيّه كالخضار بجميع انواعها، ماء غزير متوفر وفائض،يتدفق من (عين البلد) ليشكل وادياً تنمو حوله أشجار القُصّيب والعُلّيق،و.... التين والرمان.

عاش الناس في (ام الشوف) حياة البساطة،وعناء الفلاحة، يتوجهون إلى مزارعهم مع الفجر،أو قبل ذلك – إما للعزق(النكاشه) والتشعيب،أو لإطلاق دوابهم، في المراعي تأكل من خشاش الأرض وعُشبها (الحشيش)، فتوفر بذلك مئونتها على مالكها ،وإما لجني المحاصيل إذ كانوا يستغلون برودة الجو ليحصدوا محاصيلهم ويجمعوها في (أغمار-أكوام صغيرة)ثم يعيدوا جمعها في (حِلل)-اكوام ضخمه، كل ذلك قبل (الضحى) حيث حرارة الهجير التي لا تطاق في صيف القرية.

كانت وسائل النقل الدواب بكل أنواعها والحمير في طليعتها- ووسائل التدفئة الحطب ووسائل التبريد الماء والظل،والملابس الخفيفة (بطبيعتها!)؛أما القوت فكان قوامه مما تنبت الأرض من بقلها ،وفومها،وعدسها،وبصلها،وبساتين الخضار – وقليل جداً من الفواكه –بالإضافة إلى ما تعارف عليه أهل القرية من نباتات البرية كالعكوب،واللوف، والحمّيض و....... كل ذلك يكفي إذا توفر ... الخبز والقمح كان (عيش) الناس، ويرافقه- ويتفوق عليه أحياناً خبز الذرة البيضاء المعروف (بالكراديش).هذه لمحة عن نمط حياة الأهالي يومئذ (وفي ظني أن هذا كان ديدن معظم القرى هناك وربما غير هناك).

أما عن علاقات الناس فيما بينهم فكانت حميمية في مجملها،وخاصة في المناسبات السعيدة،كالأعراس ،إذ معظم أهل القرية أولو قربى أو نسب ،إلا ما ندر .إلا أنّ (الفساد) شاب بعضها،حيث كان (الانتداب)يغذي هذه الظاهرة في كثير من القرى يوم كانت الرصاصة او قطعة السلاح إن (عُثر) عليها-أو وضعت عمداً سراً-في بيت أحدهم تُلقي بمقتنيها في غياهب السجن المؤبد(أو الإعدام)!

هذه ذكريات وعيتها في فترة مضطربة من حياة الناس في فلسطين،فأنا ولدت مع إرهاصات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ،ووعيت ما وعيت في أعقابها مباشرة حيث كنا (أولاداً)يركضون خلف (دبابات) وناقلات الجنود البريطانيين وهي تنسحب من قرى المنطقة ،ملقية بقطع الصابون (المسك- المعطرّ)وحُزم (البسكوث)نلتقطها ما أمكننا ذلك ! ولا يتسع المقام لنترك ما أذكر من تفاصيل حياة القرية إلى لحظة اللجوء عام ١٩٤٨ .

السؤال الثالث :

الحديث عادة عن الطفولة وبراءتها وذكرياتها حلو وممتع، هلاّ حدثتنا عن هذه المرحلة من طفولتك المبكرة، ثم عن المرحلة الابتدائية من دراستك، وعن وضع التعليم آنئذ.

الجواب/ تمتزج طفولة القروي بحياة الناس في القرية ،وهي في مرحلتي من العمر،وظروف القرى عموماً في عهد الانتداب، بل وأواخر العهد العثماني ،بل قل عهد الامتداد العلوي (نسبة الى محمد علي في مصر)،طابعها الفقر المدقع،وشقاء العيش وشظفه... والجهل!

في (أم الشوف) كان (الكُتّاب)مدرسة من أراد أن يتعلم ،اذ لم يكن فيها مدرسة رسمية الى عام ١٩٤٧،حيث تأسست مدرسة شبه ابتدائية للصف الثاني فقط،وفي غرفة مستأجرة من احد الأهالي! كان (الكُتاب) قريباً من بيتنا-لحسن حظي، وكنت اضم نفسي إلى إخوتي الأكبر سنا (فانا رابع خمسة اخوة) وهم في طريقهم إليه فيرفضني ابن شيخ الكتاب(عبد الفتاح احمد سعيد-رحمه الله)بحجه أني صغير ! لأقلت منه فيما بعد! حفظت في (الكتاب) كثيراً جداً من القرآن الكريم – واعتقد أن ذلك كان السرَّ في (استقامة) لساني في قابل الأيام –وهو السَّر في تميّز الذين تميزوا في عالم الأدب العربي على الزمن ،من مسلمين ونصارى،ولولا(الأزهر)لما كان (لطه حسين) شأن يذكر في عالم الأدب العربي .

كنا نكتب على الصفيح (المأخوذ من تنك الزيت او الكاز)، ننظفه مما علق به من أوضار الكاز او الزيت ليستقبل (حبرنا) المكوّن من سُخام القدور وسناجها، نُذيبه بالماء ونمزجه ببعضه مزجاً يكثفه ليقلل من سيولته عند غمس قلم (البوص) في (دواته) التي يرقد في قعرها قطعة سميكة من قماش يمتص الكثير من هذا (الحبر) كي يبقى كثيفا لزجاً ، ولكيلا يجف في (الدواة).

تعلمت بعض الحساب وأحسنت الكتابة، واستقام خطي، وأتقنت الجمع والطرح، وكان الشيخ (احمد سعيد) يسمي درس الحساب (الهندي).

في آخر المطاف (قُبيل الهجرة أو اللجوء) تأسست مدرسة (أهلية) في بيت أحدهم مدّرسها (الأستاذ صالح)من قرية مجاورة ، كانت تضم كل الأعمار وكل المراحل ، والكل جلوس على الأرض (المصطبة)، فالجالسون في الصف الأمامي أقدم وأكبر سناً ،وأكثر مادة ،وحفظاً، وتتدرج منزلة الطلاب هبوطاً كلما اتجهت إلى الخلف.

في تلك المدرسة، تعلمت الكتابة والقراءة ، خارج القرآن الكريم، وحفظت من الشعر- المطلوب وغير المطلوب مما وجب على الصفوف الأمامية حفظه وتسميعه، حفظاً لا فهم فيه – ولا في معظم محفوظ القرآن الكريم – وفي اعتقادي ان الفهم يعطل

فعل الحافظة ، فما أصعب ما يُحفظ هذه الأيام اذ نفهم او نحاول ان نفهم ونتعقل!

وما زلت أحفظ قصائد من عيون الشعر العربي ، المنسوبة إلى عنترة أوصفي الدين الحلي أو المتنبي ... حفظتها يومئذ عن ظهر قلب، ووعيتها فيما بعد! كانت مخصصة للصفوف الأمامية لا لصفي!

لم تكن الدراسة في طفولتي (وطفولة أمثالي) كل شيء في حياتي، فلقد عشت حياة الفلاحة ،نظرياً أو ممارسة ، حتى الثمالة!حرثت أو حاولت ،وزعت الذرة وغيرها (بالبوق)و (درست) على البيادر،وسهرت على (عُرمة) القمح أو الذرة أو العدس أو السمسم ، ورأيت كيف كانوا (يرشمون العرمه) بلوح خشبي منقوش يضغطونه على سطح (العرمة- كوم القمح)ليعلموا في اليوم التالي إن أصابها شرٌّ من سارق فشوّه النقش بعبثه!وذقت طعم لسع العقرب!والاربعينية!،وذعرت من الأفاعي تنساب في الحقول، او على الجدران؛ ومارست صيد العصافير بكل ؟أنواعها من (الفسفس) إلى القطا والدرّج والحجل،وحتى اليوم لا أجد في لذائذ الحياة ومتعها ما يضاهي لذة اللحظة التي (تفعط)فيها (الفخة) على عصفور طال انتظار وقوعه عليها، مع كل ما يصاحب التربص من خفقان قلب وتوتر أعصاب ولهفة تستعصي على الوصف .ومارست لعب الأطفال،ركضا وقفزا،وتسلق أشجار،واختباءً فظهوراً،ولعبت الطابة و(الحاح) و (الأوتاد)،وألعابا محلية أخرى ،يضيق المجال عن ذكرها او شرح تفاصيلها،ولعبت(القلول – او البنانير)وكنت (مجليا)في (الاصابة)!والربح من الخصم!كل ذلك تحت مظلة من العوز والعناء الذي ضم معظم أبناء القرية.

السؤال الرابع:

في عام ١٩٤٨ ،وكنت في نحو التاسعة من العمر، انتقلت مجبراً والأسرة الى قرية قفين والتحقت بمدرستها ثم إلى مدرسة عتيل حيث أكملت دراستك الابتدائية ، أرجو ان تصور لنا بقلمك هذه الفترة التي عانينا فيها جميعاً من قسوة الحياة وشظف العيش.

الجواب/ ما كادت الحرب العالمية تضع أوزارها حتى كان أهل فلسطين وهم تحت الانتداب البريطاني على موعد مع حرب أخرى داخل فلسطين ،رتبت لها عصابات صهيونية واعية ، فكانت امتداداً لما سبقها من (مشاغبات) سبقت الحرب العالمية، إنما على نطاق أوسع وتأثير أعمق وأكبر ... وبين الجهل والخيانة من أهلها ،والوعي والتآمر من غيرهم، راحت مدن الساحل الفلسطيني تتساقط في أيدي صهاينة اليهود تباعاً ، وتليها القرى التابعة لها واحدة بعد الأخرى،وما أن أعلنت (بريطانيا)انتهاء انتدابها على فلسطين في ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ حتى كنا بين من نزحوا عن قراهم موعودين بالعودة في بضعة أسابيع !... لجأنا إلى (قفين)، قرية متوسطه الحجم شانها شأن قرى أخرى تابعة لقضاء طولكرم وان كانت (قفين) ابعد شمالاً شرقياً حيث تقع على مسافة متقاربة من كل من (طولكرم) و (جنين).

هنا لا بد من التلاقي مع (كهف الذكريات) في بعض ما ورد فيها من شئون العيش في (قفين)، تلك القرية التي تعيش (كانت ولا تزال) على شجر الزيتون المبارك فهو قوام حياتها الاقتصادية الأساسي ... والثريّ فيها من يملك أكثر من غيره من (عمائر) الزيتون.. والذين لجأوا إليها أصابهم (شظايا) من خيره مقابل مشاركتهم في أعمال القطاف والعصر وتوابعهما..

كانت العملة نادرة تلك الأيام في جيوب القرويين،قبيل الحرب العالمية وإبان الحرب،وفيما بعد، وخاصة في أعقاب (الحرب) الفلسطينية- اليهودية- وما بين ١٩٤٨ وحتى نهاية الخمسينات... لقد جاع الناس وثقل الحمل على أهل القرى التي لجأ الناس اليها.

في تلك الحقبة ذُقت طعم خبز الشعير، فأدركت بُعد الشقة بين صحابة رسول الله محمد (ص) وبين أحفادهم (نحن)، وعرفت كيف تبنى الدُّول وتصان الكيانات.... كان الفقر المدقع يلاحقنا أنىّ اتجهنا؛ عملت مع إخوتي في (صناعة)الفحم من الغابات المحيطة بالقرية،كي نسد الرمق بثمنه البخس!

واستصلحنا مما بين أشجار الغابات من أرض (بُور) نزرعها قمحاً أو شعيراً نتَبلّغ بخبزه من خشاش الأرض،وفي غياب الكهرباء في القرى يومئذ كان الناس يستضيئون بقناديل الكاز،وكانت حجوماً متفاوتة،ومعظم الناس(برمج) حياته على شروق الشمس وغروبها،يصحو مع الفجر او الشروق ،ويغفو بُعيد الغروب أو بُعيد العشاء...

في ذاكرتي كثير من مرارة عيش تلك الحقبة ، لا يتسع لسرده (الصدى) ولا تتسع لعلمه صدور كثير من القراء... ويجلجل في نفسي وأنا أُعدّ هذه الإجابات بيتان من (شقاء الغربة) للشاعر المهجري (إلياس فرحات):

أُغرّب نحوَ الرزق وهو مشّـرّقٌ
وأُقســـم لو شرّقتُ راح يغّرب!.....

ونشرب مما تشرب الخيل عادةً
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب!

فعلى غزارة زيت زيتون (قفين)كان ماؤها شحيحاً ،جمعاً لا نبعاً ؛ يجمع الناس مياه الأمطار من أسطح منازلهم (المصقوله) في آبار حفروها وحسّنوا جدرانها وقيعانها لتحفظ طول الصيف،ولأنها كانت مياهاً راكدة غير محكمة الأقفال فقد كانت مرتعاً لتوالد البعوض الذي أقضّ مضاجع الناس ، وغطى

أسطح مياه الآبار ببرقاته الزهرية اللون والتي يتم التخلص من معظمها بتنقية الماء من خلال الشاش الأبيض (اليانس) يثبتونه على فوَّهة الإبريق أو (الزير) عند صب الماء فيه! ولما كان مندوب الصحة يُلقي (بالكاز) في هذه الآبار ليكافح (توالد) البعوض، كان لا بد لك من أن تتذوّق طعم الكاز في الماء الذي تشربه... وتعافه الخيل! واذا شح المطر، شح ماء الآبار، وكان على أهل البلد ان يتزودوا بالماء القراح من قرية حدودية أخرى، نصفها سقط في يد العدو وبقي النصف الثاني ليسقط فيما بعد ١٩٦٧! هي قرية (برطعة)، ويسمونها أحياناً (الحنانة) أو (وادي الميّ- أي الماء)... تبعد (برطعة) عدة أميال عن (قفين)، ولكي نتجنب حر الهاجرة، كان لا بد لنا من الانطلاق على ظهور الدواب ليلاً، كي نعود الى قفين بشحنتنا الثانية من الماء مع أذان الفجر! و(عند الصباح يحمد القوم السُّرى) كما يقول المثل العربي الشهير. أما اليوم فيشرب الناس ماء النبع ويستضيئون بالكهرباء قابَل هذه الصفحة السوداء الحالكه، صفحة بيضاء ناصعة، تلك هي مدرسة (قفين) الابتدائية الرسمية.. كانت مدرسة في غاية التنظيم والتجهيز بمقاييس تلك الفترة، وان كان ينقصها الصف السابع الابتدائي أسوة بقرى أخرى مثل (عتيل) و (زيتا) و (عَلّار) التابعة لمنطقة (الشعراوية). كانت في مدخل البلد، وعلى يمين الصاعد إليها، حولها حديقة واسعة أو ملعب يقضي فيه التلاميذ وقت فراغهم فيلعبون ويدرسون. ولقد زودتها الحكومة بثلاثة معلمين ومدير، وكانوا جميعاً غاية في التضحية وحب العطاء، بما أوتوا من علم ووقت وادوات!

وللطرافة ومحض الصدفة حمل الثلاثة نفس الاسم الأول! فكانوا (جميل جابر و جميل العبادي وجميل عبدالله) وعلى رأسهم الأستاذ حسنى نجيب حمدان، كان الأول من قرية (جيت) أو (سبسطيه)، والثاني من (يعبد) والثالث من (قفين) والمدير من (ذنابه)..يرحمهم الله جميعاً.

لم أكن (مثل كثيرين) يومئذ أحمل شهادة انتقال أو حتى شهادة مدرسية تؤهلني للمرحلة الدراسية الجديدة، فالبلاد في حالة انتقالية صعبة، و إعادة برمجه، بعدما توقفت المجابهة العسكرية وأصبحت (قفين) قرية حدودية يحميها (الحرس الوطني)، وأصبحت إدارة شؤونها وشؤون الضفة الغربية لنهر الأردن) مسؤولية المملكة الأردنية. لم يطُل انقطاع الدراسة، لحسن حظنا، والتحقت بالصف الرابع الابتدائي- بعد تقدير مستوى -حيث يبدأ تعلُّم الانجليزية حسب نظام وزارة المعارف يومئذ، فكان ذلك أول عهدي بالانجليزية.

قضيت السنوات الثلاث الابتدائية في (قفين)، (ولقفين) وأهلها ومدرستها الفضل الأعظم في تحديد مسار حياتي الدراسية- فضل لا ينسى ولا يطاوَل. ثم التحقت بالصف السابع في (عتيل)، لأكمل المرحلة الابتدائية بتفوق ملحوظ في القريتين.

وعلى عكس البساطة واليُسر الذي رافقني عند التحاقي بمدرسة (قفين) واجهتني تعقيدات مادية وإدارية غير مفهومة لدى التحاقي بالصف السابع، وتلك تفاصيل لا يتسع المقام لسردها! المهم أنني عشت في (عتيل) سنة دراسية قاسية من حيث التنافس في الصف، والعيش خارج البيت لأول مرة في حياتي، وعلى أقلّ من خبز الكفاف - في غرفة (جُحر كبير!) مع زميلين، في زقاق من حي قديم (تتجلى) فيه كل مظاهر الفقر المدقع والإهمال ... والتعايش مع ... الفئران!!!!

كانت مدرسة عتيل، وما زالت على قارعة الطريق الرئيسي الواصل بين (عتيل) وبقية القرى من الشمال والجنوب؛ كاملة الأوصاف من حيث عدد المعلمين وكفاءتهم وإيثارهم وعطاؤهم؛ كان مدير المدرسة الأستاذ (حسن محمد عبد الرحمن) رحمه الله، ونائبه (صبحي البلعاوي)، وأذكر من بين معلميها (محمد الطاهر) من (كفر اللبد) و(جمال الناطور) من (قلنسوة) و(احمد السيد) من عتيل؛ وكان الأخير (خطاط) المدرسة! وما اكثر الشعارات التي كان يجهد نفسه في (تحبيرها) ليعلقها في صفوف المدرسة وما زلت أذكر منها (يا شباب المملكة، هدفنا البحر)! وإنه لهدف لو تعلمون عظيم!!

تفوّقت في (عتيل) ولفتّ أنظار المعلمين، كلاّ في موضوعه، ولما كان مدير المدرسة هو معلم (العربية) التي تميزتُ بها، كان أول النادمين على (تصعيب) التحاقي بالمدرسة.. وإني لأدين بالفضل كلّ الفضل إلى المرحوم (أبو سهيل القصص) في (تذليل) صعوبة الالتحاق بها، والى (مكتبة أبو زيد) التي رضيت ببيعي الكتب المقررة (بالدَّين) يومئذ! وبَرَهْن (ساعة) والدي رحمه الله ضماناً للحقوق ساعة جيبه التي كان يفتخر بها!

في (عتيل) لم تكن لي ذكريات يؤبه لها، فعلاقتي بها انحصرت في المدرسة والدراسة واستمرت حياتي خارج الدراسة في (قفين) اثناء العطل المدرسية المعروفة، فكأني ما خرجتُ من (قفين) ولا عشت سنة في (عتيل)!

السؤال الخامس:

انتقلت من عتيل الى طولكرم، التحقت بالفاضلية، وتحقق حلمك، قضيت في الفاضلية أربع سنوات تشكلت خلالها شخصيتك بجوانبها العلمية والفكرية والثقافية، تتلمذت فيها على أساتذة أعلام، وتتلمذت على نفسك، قرأت أمهات الكتب، وكتب التراث واستوعبت ووعيت ما فيها. رجاء ان تحدثنا عن هذه المرحلة الخطيرة والمصيرية من حياتك التي حددت طريقك ورسمت مستقبلك.

الجواب / بانتهاء المرحلة الابتدائية، انتهت مرحلة أسَّسَتْ

لما بعدها ، لمن شاء أن يستمر وكان قادراً على ذلك ، فليس كل الذين أكملوا تلك المرحلة استأنفوا السير نحو المرحلة الثانوية، شأن معظم الناس هذه الأيام.. فلقد كانت المدارس الثانوية في عموم المملكة محدودة العدد وفي المدن فقط ذلك لأن توفير تلك المرحلة يتطلب المبنى المؤهل ، بخدماته الأساسية،وكوادره اللازمة، والمال اللازم فوق كل ذلك –وصعوبة توفيره في البلد الخارج من حرب خاسرة! ولعل توفير المعلم الكفء كان في قمة الصعوبات ... فلطالما عاد الطالب الذي تخرج بالأمس ليدرّس في مدرسته التي تخرج فيها ويدّرس مادة مفروضة عليه بحكم الحاجة،ولا خيار له في تدريسها! وكان همّه أن ... يتوظف ليعيش!

التحقت (بالفاضلية)عام ١٩٥٢–٥٣ ، في طولكرم ، لأواجه نقلة شاسعة في نمط حياة الناس ،نقلة في كل شيء،من قرية إلى مدينة، تضاء بالكهرباء ،وتتحرك السيارات في شوارعها العريضة وتكثر المحلات التجارية ، المتنوعة.. والمطاعم .. والمباني العالية (الفخمة نسبيا).. وكانت كل إمكاناتي على المحك، الدراسية والمعيشية.. (الفاضلية) الثانوية الوحيدة لذكور القضاء الشمالي والشرقي كما كانت (السعدية) في (قلقيلية) لقضائها الجنوبي (فلم يعد لها قضاء غربي) بعد ١٩٤٨).اجتمع في صفي الثاني الأول ،وبمحض الصدفة ،عدد من الطلاب الذين كانوا أوائل في الصف السابع الابتدائي (والذي ألغي بعد اجتيازنا له مباشرة)، مما حدا بالشيخ (توفيق البرقاوي) رحمه الله ان يردد بعد أن علم بذلك قول (المعري):

واني وان كنت الأخيرَ زمانُه

لآتٍ بما لم تستطعه (الأوائل)....

مع اختلاف في جوهر المعنى !

استعر التنافس بيننا،وتم توزيع (أو إعادة)توزيع الطلاب في فروع الصفوف ،وكلٌ يريد ان يثبت كفاءة متميزة، ويكون في الطليعة .... إذ :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليُسعد النطق إن لم تُسعد الحالُ

فالفقر حال معظمنا،وغير الدراسة عبثُ لا مكان له،وترف لا نقدر عليه!

ظلت المؤونة اليومية تردني من (قفين)مع (باص) القرية،إلا ما ندر ،كما كانت الحال في (عتيل).. وسكنت في (سقيفة) في محيط (المسجد الجديد)مع زملاء آخرين من أهل القرى (ولمن شاء ان يطلع على تفاصيل ذلك فليعد الى كهف الذكريات –في (صدى الفاضلية) .

لم تكن (السقيفة)مسكني الدائم طيلة السنوات الأربع الثانوية، فلقد أجبرتني (الظروف) على الانتقال من مسكن الى آخر غير مرة.. وكما قال (الطغرائي)في (لامية العجم):

إن العُلا حدثتني–وهي صادقة

فيما تحدث –ان العزّ في النُّقَلِ!

على الرغم من (بساطة) مؤهلات معظم معلمي (الفاضليّة) يومئذ، فقد عوضوا عنها بالجد،والجهد والرغبة في العطاء، اذ كانوا يشعروننا ان تعليمنا قضيتهم بعد القضية الأولى (فلسطين) ؛ ولقد كنا عند حسن ظنهم بنا ، اجتهاداً وتحصيلاً.

لم تحُلْ .كثافة المواد المقررة دون توسعي واطلاعي خارجها.. كلما لأخت فرصة اقتنصتها.

فأنا قارئ نهم منذ عرفت القراءة وحتى هذه اللحظة. لم يكن في (الفاضلية) مكتبة ذات شأن، لكني كنت استعير،والاستعارة لا تكلف المستعير!ولقد أحسنت إلي الفاضلية إذ أسكنتني في (المنزل –منزل المدرسة) بضعة شهور،تعرفت فيها إلى رغد العيش لأول مرة–بفراشه الأنيق الوثير،وطعامه الشهي،وفوق ذلك كله مكتبته الصغيرة التي احتوت على شتى الاتجاهات الأدبية والفكرية .قرأت فيها (من هنا نبدأ –لخالد محمد خالد) (والتصوير الفني في القرآن–لسيد قطب – والعدالة الاجتماعية في الإسلام– ومشاهد القيامة في القرآن)، (ومصرع كليب –ومذكرات دجاجه لاسحق موسى الحسيني)، وغير ذلك مما أفلت من ذاكرتي اليوم ؛ كنت إذا نال نصٌّ ما إعجابي ، حفظته عن ظهر قلب ، لأضمّنه ما أكتب أو أقول في مناسبته، مثل عبارة (ولقد آن لهذه الشعوب الها جدة ان تتململ تحت أشعة فجر جديد) من (خالد محمد خالد) التي ضمنتها خطبتي القصيدة التي ألقيتها امام طلاب الفاضلية في طابور الصباح بمناسبة (تعريب الجيش الأردني).

كانت فترة عيشي في (المنزل) غنية في كل شئ – على قصرها– فلقد وفرت كل ما يحتاج إليه الطالب يومئذ من راحة ومئونة عيش ، وظروف دراسة واطلاع ؛ كان اختيار الطلاب للانضمام إلى (المنزل) محكوماً بشرطين أساسيين هما: التفوق والفاقة، وقد توفرا في شخصي كما توفرا في زملاء آخرين ، فكنا نزلاء المنزل المخظوظين. كان مدير المنزل يومئذ الأستاذ (رأفت قشوع)،وكان ذا اتجاه قومي يساري،وكنت على النقيض ،ولقد أدى اختلاف الاتجاهين إلى (مخاشنه)بيننا كان حصيلتها (صفعة)أدارت وجهي فلقد أدى اختلاف الرأي يؤمئذ إلى "افساد قضية الود،بل أدى إلى القطيعة والمجابهة.

كانت فترة وجودي في الفاضلية تصخب بالإحداث فلقد استُهلت باعتلاء الملك حسين عرش الأردن،وتتويجه رسميا، وخرج الطلاب من شتى المدارس في طولكرم عدا الفاضلية،خرجنا جميعا محتفلين بالمناسبة ،وتحلقنا حول مبنى البلدية المجاور (للعدوية)

فلقد كان مبنى البلدية– فيما بعد (مستشفى الجهاد) عند مدخل طولكرم؛ وألقيت الكلمات وخُطبت الخطب وألقيت القصائد مشيدة بالمناسبة،وتشاء (محاسن الصُّدف) أن يكون من بين (الملقين) استاذي مدير مدرسة عتيل (حسن محمد عبد الرحمن) فلقد كان شاعراً وأديباً متمكنا ، والقى قصيدة أذكر منها:

رقصت فراشات الربيع بحقلها

فرحـــاً وهنـأ صنـوَه أيــــارُ

فلقد كان التتويج في (ايار)ذلك الشهر من عام ١٩٤٨ الذي سقطت فيه فلسطين ٤٨ ومنها (إشارة الى الملك):

آباؤه الصيد الأشاوس قبله

خرجوا على حكم الطغاة وثاروا

يقصد ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى ومنها (رفضاً للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ٤٨):

أوَ كلما لفظتهم اقطارهــــا

قذفت بهم مهدَ المسيح بحارُ؟!

ذلك بعض ما سمعته في الاحتفال، وحفظته للتوّ! كنت حريصاً على أن أحفظ ما اسمع واستوعب ما أقرأ....وقع بين يدي نشرة من بضع صفحات بالانجليزية كانت تصدر عن (مكتب المعلومات الأميركي)فحفظت عبارات أعجبتني صياغتها ، واستعملت بعضها في امتحانات (الإنشاء) في (الجامعة الأميركية في بيروت)فيما بعد!

أجل .كانت فترة الفاضلية تصخب بالإحداث ، فلقد وقعت الثورة المصرية (أو الانقلاب– على الأصح)، عام ١٩٥٢ – (تموز)، وكان لها ما بعدها من تأثير في مجرى الأحداث في كل المنطقة حيث بدا الصراع الانجلو – أميركي في أجلى مظاهره... وتكررت الانقلابات في سوريا واشتعلت الفاضلية ، بل طولكرم ، بل كل الأردن ، تفاعلاً مع الأحداث السياسية، تيارات فكرية محورها المشترك – في الأغلب –تحرير فلسطين ! وتبلورت في اتجاهين قومي وإسلامي ولم ينج من الانخراط في هذا التيار او ذاك إلا قليل . ولقد شهدت ساحة المدرسة وهي تعج بالحوادث وحلقات الجدل الفكري الملتهب الراقي إبان المرحلة الثانوية، جنباً إلى جنب مطالعة الدروس ومذاكرتها.. على أن ذلك لم يحل دون تفوق طلابها في امتحانات الشهادة الثانوية في المملكة،إذ ندر أن لم يكن منها أوائل على المملكة كل عام!

ولقد انجذبت إلى التيار الإسلامي ،مثلما انجرف معه غيري، وكان جارفاً، على مستوى القضاء، وقادني اندفاعي وحماسي إلى نظم قصيدة تلخص ما تجسّد في فهمي من أفكار حزبية، ولم يكن ذلك اول عهدي بنظم الشعر،غير أن تلك القصيدة نشرت في جريدة(الصريح)التي كان يصدرها(هاشم السبع)–من قلقيلية–وكانت مشهورة(باختراق الحواجز)والخروج عن المألوف! وكما لّمحت في (كهف الذكريات)فلقد وقعت القصيدة في الجريدة في يد المدير (المرحوم وهيب البيطار) فاستدعاني إلى مكتبه وعنفني وأشعرني أن نشر القصيدة أحرجه بين أقرانه ولدى مسئوليه ، – طردني من المدرسة حتى أحضر والدي (رحمه الله)ليتعهد له ان لا !أعود(لمثلها)!ولقد كان للمرحوم(رشيد تايه)أو (أبو العبد– كما كنا نناديه–فضل كبير في تسوية (القضية)، واحتفظ لنفسي بتفاصيل ذلك.

السؤال السادس:

في المرحلة الثانوية وربما في زمن سابق عليها كنت تنظم الشعر، وتنشر بعضاً منه في صحف تلك الأيام، غير إني لا اذكر إنني عثرت لك على ديوان مطبوع.فهل توقفت هذه الموهبة او الملكة وخبت بفعل عوامل الزمن، ام تم قمعها بفعل فاعل عن عمد وقصد؟

الجواب/ لم تكن قصيدة (الصريح) اول عهدي بالنظم ،فلقد استوعبت(بحور)الشعر في المرحلة الابتدائية ، في يوم من الأيام وقع بين يدي كتاب قديم مصفرُّ الورق بلا غلاف ولا عنوان، كان يقتطع منه صاحب دكان في قفين ما يحتاجه ليلف به (المكسرات) التي يبيعها لزبائنه–ولقد كان ذلك الكتاب (او ما تبقى منه) شاملاً عروض الشعر،وقواعد النحو في آن.ولقد التهمت الكتاب وتلقيت محتوياته كما تتلقى الأرض العطشى وابل المطر! حفظت منه صياغة أسماء (البحور) وأوزانها شعراً (بحور الشعر(وافرها)جميل مفاعلتن مفاعلتن فعولُ) أما (البسيط)فهو (إن البسيط لديه يُبسط الأملُ مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن وهكذا كل بحور(الخليل بن احمد الفراهيدي) التي يُتفلّت منها وزنا وقافية نحو (الشعر) الحديث الذي يخلو من الوزن ومن القافية ويصرون على تسميته شعراً حبا في التسمية وعجزاً عن قهرها ! ولقد تغلغلت أوزان البحور في نفسي منذئذ، حتى أني اكتسبت سليقة تمكنني من صحة الوزن او عدمها بالسماع فقط، فأنا لا ألجأ إلى التقطيع إلا نادراً، وحيث يُظن ان الوزن خرج إلى (الزحاف) وهو عيب (مقبول) في النظم كما اشار الى ذلك (المعرّي)بقوله:

وأكرمني – على عيبي –أناسّ

كما روى القريضُ على (الزّحاف).

منذ أيام الابتدائية ،وانصهاراً في الأحداث السياسية– على حداثتي –ومن ذا الذي لم ينصهر يومئذ في فلسطين بالذات! أقول : منذ تلك الفترة ومحاولات النظم جارية، ولم تكن غير انفعالات محدودة بأحداث محدودة،فإذا اشتبك الحرس الوطني في (قفين) مع العدو الإسرائيلي على الحدود قلت فيما قلت: "وما فعل البنادق حين ترمي مع (الرشاش)" ساعات

طوالا؟ وإذ انقلب (مصّدق) في إيران على الشاه،ونفي ،قلت فيما قلت:

أقول وليس في قولي ضلال

(مصدُقُ) في الفدا نعم المثال

وإذا تحدى أساتذتي شاعريتي في الفاضلية نظمت قصيدة على غرار قصيدتي التي نظمتها في درس الإنشاء،مما أشرت إليه في مقالة سابقة (في الصدى)..... وهكذا

إلا أنني لم أتفرغ للشعر لأكثر منه حد بلوغ حجم الديوان، والدراسة الجادة لم تسمح لي بذلك ولا مهنة الطب–دراسة ثم ممارسة–فيما بعد، وإلا لقلت كما قال البحتري(؟) في مقام آخر:

ما تغزلت قط ولو تغزلت لنسَبت نسيباً

تسمعه العجوز– فتبكي على شبابها!

تلك هي علاقتي بالشعر،كانت ولم تزل –حباً له حد البكاء عند سماع او قراءة البليغ منه، وقدرة على نظمه ، عند اللزوم– فهو حب (عذري)، يحترق به المتنبي ، رغم القطيعة والبعاد وصعوبة الوصل لوجود الحوائل العازلة – وشعري ليس من الكثرة بحيث يجمع في ديوان.

السؤال السابع:

وبمناسبة الحديث عن الشعر اذكر انك والشاعر راضي صدوق ترافقتما وتعارفتما في الفاضلية ، ونشأت بينكما علاقة بسبب الشعر ، حبذا لو حدثتنا عن هذا الأمر ، وسلطت بعضاً من ضوء على هذا الشاعر العظيم وعلى مكانته بين شعراء العربية ومدى الظلم الذي لازمه حتى بعد وفاته.

الجواب/ تعرفت إلى الشاعر (راضي صدوق) رحمه الله ،في بواكير المرحلة الثانوية في الفاضلية، وحّدت بيننا ظروف معيشية قاسية ،حيث كان يسكن في (بيت) متواضع عند مدخل طولكرم وعلى يمين القادم إليها من قرية (شويكة) ، في منطقة تعجّ بالكراجات (لتصليح السيارات ،ونفخ العجلات) والمحلات التجارية الهزيلة وكنت أسكن في غرفة تطل على زقاق يؤدي إلى (المنشية)هي جزء من بيت (لأبي سبع الترجلّ) حين جاءني (راضي) وفي يده ورقة طويلة من قطع (الفلسكاب) مملوءة شعراً ؛ كان (راضي) مثل معظم الطلاب يومئذ ، مبتهجاً بالانقلاب المصري عام ١٩٥٢ ، وبقائده(حتى ذلك اليوم) (محمد نجيب)، ذلك قبل أن (ينقلب) عليه رفيق السلاح (جمال عبد الناصر)، ولقد أفرزت مشاعر غبطته وحماسته وسعادته بالانقلاب (الأول) قصيدة طويلة، يشيد فيها بمحمد نجيب و(الثورة) وتطلعات الشعب العربي بقيادتها إلى (تحرير فلسطين!)... كان الجو ماطراً ، غزير المطر وقد وقفنا معاً تحت مظلة تلك (الغرفة – أو الخشة)، وراح يقرأ:

حيِّ النجيبَ وحيِّ الثورة الكبرى

وأنا استمع إليه لأعطيه رأيي في القصيدة .. فلا هو توقف عن القراءة ولا المطر توقف ! هطولان في آن واحد! أعطيته رابي في القصيدة حينئذ ، لا في مضمونها ، اذ لم أكن أشارك القوم سعادتهم بالانقلاب!.....

لم تطل صلتي (براضي)فلقد انقطع عن الدراسة في الفاضلية لأسباب (معيشية)فيما علمت ،ولما كان شاعراً بالقوة(كما يقول الفلاسفة) فقد تطورت شاعريته وحياته الى شاعر بالفعل (كما يقول الفلاسفة ايضاً!)شاعر كان له حضوره ومكانته في عالم الأدب والشعر، متنقلاً بين البلاد العربية – حاملاً معه مشاعره الوطنية السامية في حقيبته الشعرية (موّكلاً بفضاء الله يذُرعه!) فكلما ضاق به هذا البلد ذرعاً فّر إلى آخر.. وهكذا .. إلى أن وافته المنية في العام المنصرم– رحمه الله رحمة واسعة، تاركا ذكرى طيبة،(وذكر الفتى عمره الثاني)وعدة دواوين شعرية.

السؤال الثامن :

انتقلت ربما عام ١٩٥٣ من مجتمع القرية ، قفين وعتيل،إلى مجتمع المدينة ،من عالم محدود وضيق او مغلق إلى عالم رحب واسع نسبياً ، لا بد انك شعرت ولو في البدايات بصدمة او انبهار لما بين المجتمعين من فوارق واختلافات في طبيعة الحياة ،ونمط العيش ،ونوع العلاقات ، صف لنا (من فضلك) مشاعرك وعواطفك وما انتابك في هذه اللحظات.

الجواب/ تسألني عن النقلة الحضارية أو (المدنية – للدقّة)بين القرية والمدينة ، بعد التحاقي بالفاضلية وعيشي في طولكرم، فأوجزها لك بما يلي:–

يجرى الماء في الأنابيب ،وتستقبله البيوت في صنابير كلما شاءت، تشربه نقياً معقماً،وتستحم به في مرافق صحية مريحة، وصرف صحي نظيم؛وبيوت تضاء بالكهرباء ويحفظ طعامها ويبّرد ماؤها بأجهزة كهربائية؛هذا في ناحية،وفي الناحية الأخرى ماء مجموع من أسطح المنازل مما تجود به السماء ،في آبار؛ ماء آسن، يُغرف بالأواني ،ليشرب منه ابن القرية،ويملأ منه أباريق،يأخذ منها حاجته لتنظيف نفسه بالاستحمام وغيره،حتى إذا جنّ الليل أضاء منزله بقنديل طاقته(الكاز)الذي يملأ مستودعه وفتيل مشتعل،لا يلبث أن يستهلك هو والكاز الذي يغذيه ليواصل اشتعاله،ليضئ ما يقرب من موقعه فقط حتى إذا لزمت لإضاءة زاوية أخرى حُمل القنديل كله إليها!دعك من صخب الحياة في المدينة متمثلاً في الازدحام حول المتاجر وحركة السير، فذلك يأتي في الدرجة الثانية من الفوارق!

كان لزاماً على مثلي أن يتأقلم مع النقلة الجديدة تاقلما تدريجياً وّلد جفوة لنمط الحياة الأولى ، وهجراً وتبرماً بها حد القطيعة !فشتان بين الحياتين، في كل شيء، من المنزل إلى الشارع.

البقية في العدد القادم

دروس وخبرات للاقتــداء



د.محمد حسن عمر
خريج الفاضلية: ١٩٥٩

ليس لـدي شك في أهمية مجلة صدى الفاضلية ودورهـا في إبقاء التواصل مستمراً بين الأعضاء.

وقد استمتعت في الأعداد السابقة بالمواضيع الخاصة بذكريات بعض الزملاء التي تعيد الكثير من الشجون.وحبَّذا لو تَمَّ عمل قاعدة بيانات للخريجين الجُدد لتمكينهم من الاطلاع عليها عن طريق عرضها على موقع على الإنترنت .يمكن تقسيم شبابنا إلى فئتين : الأولى :هم أبناء وبنات الرعيل الأول الذين غالباً ما ساعدهم الحظ في قطف ثمار كِفاح آبائهم فعاشوا مرفَّهين نسبيا مقارنة بغيرهم ،ولم يمُرّوا بقساوة ظروف الحياة التي مرَّ فيها آباوءهم ،وتجد معظمهم الآن يعيش خارج الوطن ،وأنا على يقين ان الآباء لا يتركون فُرصة إلا ويسردون قصص الكفاح التي مروا بها. والفئة الثانية هم الشباب المكافحون تحت الاحتلال والذين يعانون ويتطلّعون إلى مستقبل أفضل. لذا أعتقد ان الذكريات تُعَدُّ حافزا لكلا الفريقين .وها هنا أسرد بعض ذكرياتي من سيرة حياتي على شكل نصائح للشباب من تجارب ودروس أفدت منها في حياتي الدراسية والمهنية:

١- **ضَع العلم في رأس أولوياتك:** كان العلم ولا يزال الوسيلة الرئيسة لانتشال جيلنا في الخمسينات والستينات من الواقع الاقتصادي والنفسي الذي كنّا نعيشه نتيجة الاحتلال وتبعاته المريرة.وكان هدف كل واحد منا ان يتفوق، سواء للحصول على منحة دراسية أو إيجاد وظيفة ينتشل فيها نفسه وأهله. وفي رأيي ان الوضع اليوم شبيه بالأمس البعيد، حيث تقل فرص العمل، ولا بد للإنسان من التفوق ،والتفوق ليس بالضرورة ان يكون بالشهادة الدراسية في المجالات التقليدية ،ودائما أنصح أبنائي بـان من يكون نجّـارا عليه أن يبذل الجهد ليكون من أحسن النجارين ،ومن يكون مبرمجا للحاسوب عليه ان يكافح ليكون من أفضل المبرمجين ، فالمجال دائماً مفتوح للمُبدعين في مهنهم.

٢- **أتخذ لنفسك قُدوةً حسنة:** من المفيد ان يضع الشاب نُصب عينيه نموذَجاً وقدوة يحتذي بها، وفي الثانوية كنت دائماً أصبو لأكون مثل الأوائل من أساتذتي وكنت أقـول لِنفسي إذا كان أمثال الأساتذة رسمي عبد القادر، اسعد خضر، علي عبد الرازق وغيرهم من أبناء القرى الكادحين قد تفوقوا، فلماذا لا أكون أنا، ابن فرعون، مثلهم تخرَجت في الفاضلية والحمد لله عام ١٩٥٩ وكنت من العشرة الأوائل .والطريف انه في نفس السنة كان زميلي من فرعون عبد اللطيف عبد الواحد من العشرة الأوائل أيضاً. فتصور ان يكون من قرية صغيرة اثنان من العشرة الأوائل.

٣- **لا تيأس ولا تستكن للأمر الواقع:** بعد أن تخرَّجتُ في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٦٣ عُينت مدرساً للرياضيات في الفاضلية ، استمتعت بالتدريس خاصة لطلاب التخصص،وفي نهاية عام ١٩٦٥ علمتُ أن زملاء لنا في بعض الالوية من خريجي الجامعات تم ابتعاثهم لدراسه الماجستير.ذهبت إلى مديرية التعليم في نابلس محتجّاً على عدم حصول أي طالب من اللواء على مثل هذه الفُرصة،وبعد أخذ ورَد تقدمت باستقالتي، ولكن قيل لي ، بأنني لا استطيع الاستقالة لكوني مبعوثاً، وإلا فعليّ دفع نفقات تعليمي،وبناء على نصيحة أحد المفتشين أجّلت خدمتى بغرض إكمال دراستي على نفقتي .

سافرت إلى عمان ولم اكن املك سوى «١٠٠» مائة دينار و التقيت هناك ببعض المدرسين الذين يعملون في السعودية الذين علمت منهم ان السعودية بحاجة الى مدرسى رياضيات ،تعاقدت مع السعودية وفي ذهني ان امكث سنة او سنتين لأوفر خلالها ما يمكنني من اكمال دراستي العليا،ولكن السنة تبعتها سنوات .

٤- **اعمل على تكوين العلاقات الطيبة وتَميُّز في عمَلك:** عملت في معهد الإدارة العامة في الرياض من عام ١٩٦٨-١٩٧٦ في وظيفة خبير إحصاء ورياضيات، وكنت وقتها أحمل البكالوريوس في الرياضيات.وكُنتُ مجداً ومجتهداً في عملي ،كما كنت على علاقة ممتازة بمدير المعهد ،فكان من ثمرة هذه العلاقة ان اقترح علي عام ١٩٧٠ ان استثمر في تجارة الأراضي ،وافقت على اقتراحه

واقترضت من البنك عشرة الاف ريال. وفي عام ١٩٧٥ قامت المملكة بإجراء أول إحصاء سكاني ،وكُلِّفْتُ بتدريب العاملين على جمع البيانات،وقد استخدموا في العملية كومبيوتر ضخم ،وبطريقة ما التحقت مع المتدربين على هذا الجهاز وتدربت على البرمجة وتعلمتها في المعهد رغم انه غير مسموح لي لانني غير سعودي.

حققت استثماراتي في بداية عام ١٩٧٦ عائدا يقرب من مائتي الف ريال، تركت العمل والتحقت بجامعة تكساس تك لأكمال دراستي .

٥- **خطِّط واغتَنم الفُرَص:** قابلتُ المشرف على الدراسات العليا واجهتني حينئذ صعوبات وعقبات منها أنني أحمل بكالوريوس في الرياضيات، ونظم المعلومات تتبع كلية إدارة الأعمال، فكان علي ان ادرس مواد أخرى قبل التحاقي بالماجستير مما يعنى انني احتاج الى سنة او سنتين إضافيتين ،وبعد جدل طويل ونقاش وافق المشرف على ان ادرس المواد المطلوبة في الماجستير مباشرة شريطة ان أحصل على تقدير A أو B في كل مادة ،قبلت التحدي وسجلت في مادة التسويق ومادة الإحصاء المتقدم ،وحصلت في أول اختبار على العلامة الكاملة في كل منهما .

توطَّدت علاقتي بالمشرف وأقنعته بان اقوم بتدريس مادة برمجة الكوبول لطلبة السنة الأولى بكلية إدارة الأعمال ثم تعاقدوا معي للتدريس واعفائي من الأقساط الدراسية .

٦- **تأكَّد أنَّه ما ضاع حقٌّ وراءه مُطالِب:** كان موضوع رسالتي للدكتوراه عن تصميم قاعدة بيانات تعمل على حاسوب ذى ذاكرة محدودة،ولم تكن الحواسيب الشخصية قد ظهرت بعد، نبهتني اللجنة المشرفة الى صعوبة الموضوع وانه يستغرق وقتاً طويلا ونتائجه غير مضمونة.

حـدَّدَ المشرف لي مساحة على حاسوب الجامعة بذاكرة محدودة ومساحة تخزين محدودة تتماشي مع ما كان مُنتظراً ان يكون عليه الحاسوب الشخصي في المستقبل.وقمتُ بكتابة برامج خاصة لدعم فكرة الموضوع.

كنت اكتب الفصل من الأطروحة واسلّمه لأعضاء اللجنة، فيقوم كل منهم بتدوين الملاحظات والتعديلات ،فأقوم بدوري بتعديل ما يُطلب مني خلال يوم او يومين ،ولو كنت استخدم الأسلوب المعتاد لاحتاج الأمر لأسابيع وتكاليف باهظة.وشجَّعني أعضاء اللجنة بتجاوبهم السريع في إعطاء ملاحظاتهم خاصةً ان هذا الأسلوب في الطباعة يستخدم لأول مرة.

فرغت من تجهيز الرسالة وسلمتها لرئيس اللجنة ولاعضاء لجنة الدراسات العليا في الجامعة ،وبعد أسبوع تم إبلاغي بأنَّ إدارة الجامعة رفضت الرسالة لأنها غير مطبوعة على الآلـة الكاتبة وبالطريقة المحددة والمعتمدة في كتابة الرسائل وطلبت اعادة طباعتها. رفضتُ الامتثال لهذا الطلب،وبعد أخذ ورد ،وجهود شاقة اضطرت الجامعة أن تقبل الرسالة بشكلها الحالي وأصبحت سابقة للآخرين .

وفي وقت لاحق اخبرني رئيس اللجنة ان أعضاء اللجنة الآخرين سوف يطعنون على أهلية الموضوع على أساس أن الرسالة مجموعة من البرامج ولا تحقق أغراض رسائل الدكتوراه. أجبته بأنني أعتقد أنهم لم يُدركوا حقيقة ما وراء هذا البرنامج،وأنني مستعدٌ للدفاع واثبات الجديد الذي تُقدّمه الرسالة. دخلتُ للمناقشة في جَو مُكهرب،وتمكنت بعون الله من إثبات ما تُقدّمه الرسالة لتطوير استعمالات الكومبيوتر،وكيف أنني بهذه البرامج مكّنت المستعمل لقاعدة البيانات من تنفيذها على حاسوب صغير،لا بل أثبَتُّ إمكانية التخاطب مع الكومبيوتر بأكثر من لغة .علّق ممثل كلية الهندسة بعد العرض قائلاً:لقد ظلمناك،والآن، ندرك القيمة المضافة لهذا البحث.

وبعد أسبوع صدر القرار بمنحي شهادة الدكتوراه ووصلتني رسالة من عميد كلية الدراسات العُليا يقول فيها: من دواعي سروري أن أبارك لك بالنجاح ،وقد كان نقاشُك ودفاعُك عن رسالتك أفضل ما شاهدت ،ومن الجدير بالذكر أنّك الأول في تاريخ الجامعة الذي ينهي دراسة الماجستير والدكتوراه معاً في ثلاث سنوات وبدرجات A في جميع المواد.

بعد التخرُّج عملت في التدريس في جامعة ساوث كارولينا ، وبعد سنتين إتَّصل بي نائب رئيس مجلس إدارة البنك العربي الوطني للعودة للسعودية للإشراف على مكننة عمليات البنك،وفعلا عدت وعملت من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٦ حيث قمنا بتطوير نظام بنكي متكامل.عُدت بعدها إلى أمريكا- حيث أصبح بعض الأبناء في المرحلة الثانوية-وعملت في التدريس في جامعة ريتشموند، فرجينيا لغاية ١٩٩٣. ثم قدمتُ إلى الأردن وعملت مع شركة أنظمة الحاسبات لإنتاج نظام بنكي على أسس أحدث من النظام الذي طورناه للبنك العربي الوطني.وفي عام ١٩٩٦ ذهبت للسعودية مرة أخرى وأطلقنا خدمة الإنترنت لشركة سعودية ،وفي طريق عودتي لأمريكا للعمل مع شركة استشارية في مجال نظم المعلومات ، استوقفتني شركة الموارد.وتعاقدتُ معهم، وأطلقنا أول مشروع للإنترنت عبر الأقمار الصناعية. وحين حصلت الموارد على رُخصة تقديم خدمات البيانات،كُلِّفت برئاسة الشركة الجديدة وبقيتُ حتى سنة ٢٠٠٧ حيث قرَّرت التقاعد في عَمّان.

منذ زمن كان يؤرِّقني ما أرى من انصراف الأجيال الناشئة إلى الفضائيات وألعاب الكمبيوتر، والانصراف عن القراءة.فعَمَدْتُ إلى العمل على إيجاد محتوى جديد للعائلة والناشئة مستخلص من التراث العربي والعالمي وإخراجه باللغتين العربية والإنجليزية، بهدف إحياء عادة القراءة.بمحتوى لتنمية مفاهيم حُسن الأخلاق والتعامل بين الناس، الحضّ على التعاون والوحدة في مواجهة الصِعاب، التمسك بالدفاع عن الحَق وعدم الرضوخ للظلم، والحضّ على العدل في الرعيَّة، بالإضافة إلى حكايات ترفيهية.استقيتُ الحكايات من: كليلة ودمنة، أشعار أحمد شوقي بلسان الحيوانات، حكايات من تاريخ السلاطين، وحكايات من ألف ليلة وليلة.

العدوية



المهندس
جميل رشيد عبدالله الصالح

لم أرَ في حياتي أجمل من مدينة طولكرم التي سبقت مثيلاتها من مدن العراقة ومدن رأس المال وذلك لما حوته من تنظيم ونظافة ومعالم رئيسية في حينه تبعث على السرور وانشراح الصدر.

ومن ضمن هذه المعالم، الصروح العلمية التالية:

المدرسة الفاضلية الثانوية للبنين.

وسميت باسم القاضي الفاضل الذي كان في عصر صلاح الدين الأيوبي.

مدرسة خضوري الزراعية وسميت باسم مؤسسها (جامعة خضوري حاليا).

مدرسة العدوية الثانوية للبنات، ويعتقد الكثيرون انها تسمى باسم رابعة العدوية دون ان يدوّن اسم رابعة في التسمية.

هناك في القاهرة مسجد يسمى مسجد رابعة العدوية وميدان باسم رابعة العدوية ويدوّن اسم رابعة في هذه التسميات، في حين لم يدون اسم رابعة في تسمية مدرسة العدوية.

اما رابعة العدوية نفسها فهي إنسانة عادية انحرفت في بداية شبابها ثم تابت الى الله توبة نصوحة وتصوفت وهذه الصفات لا تؤهلها لان تسمى صروح علمية باسمها.

هل هناك رابعة أخرى؟ وما هو أصل التسمية؟

انا كغيري من الناس لا اعلم من الذي أطلق على هذا الصرح العلمي مدرسة العدوية

في عام ١٩٨٤ قررت الاشتراك في مسابقة دينية كبيرة ينال الفائزون فيها بعثة حج على حساب القوات المسلحة الأردنية ومن ضمن ما قرأته فيها ما يلي:-

إن هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعمل بالتجارة مع الشام وكانت له ابنة تسمى العدوية، واصطحبها معه في آخر رحلة له الى الشام حيث مكث في الشام ثلاث سنوات متتالية، وخلالها تعلمت ابنته العدوية القراءة والكتابة حيث كانت مدة الدراسة سنتين ونصف السنة.

وكانت طريق العودة من الشام الى طبريا ثم الى عكا ثم جنوبا الى يافا ثم الى عسقلان ثم الى غزة. ومن غزة موازيا لجبال سيناء في صحراء النقب الى العقبة ،ومن هناك مع الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر الى ينبع ثم الى جدة ثم الى مكة.

وفي مدينة غزة اثناء العودة مرض هاشم بن عبد مناف، وتوفي في غزة ودفن فيها ،ومن هنا جاءت تسميتها غزة هاشم واثناء نزع هاشم أوصى ابنته أن تؤسس مدرسة للبنات في مكة المكرمة .ولم يكن هناك قبل ذلك التاريخ مدارس لتعليم البنات في جزيرة العرب وكانت هناك مدارس قليلة لتعليم الرجال.

بعد عودتها مع القافلة الى مكة بزمن ليس بالقصير قامت العدوية بتأسيس اول مدرسة للبنات في مكة المكرمة وهي اول مدرسة في جزيرة العرب وسمتها مدرسة العدوية ومدة الدراسة فيها سنتان ونصف .

وكان من خريجات هذه المدرسة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وهي ام المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ان هذه العدوية وهذه المدرسة تستحق ان تكنى بها المدارس والصروح العلمية .

من أخبار النادي ونشاطاته

التقى أبناء الفاضلية وأصدقاؤهم خلال العام الماضي ٢٠١٣م في ثلاث مناسبات، كانت الأولى في ثالث أيام عيد الفطر السعيد، والثانية في ثالث أيام عيد الأضحى المبارك في المدارس النموذجية العربية/ مقر النادي المؤقت، حيث تبادل الحاضرون في هذين اللقاءين التهاني، واستذكروا الماضي، واسترجعوا القصص والأحاديث والمواقف، كما ألقيت بعض الكلمات المناسبة والقى الشاعر المهندس جاسر العموري بناء على طلب الحاضرين وإلحاحهم القصيدة التالية بعنوان: عشق الحروف.

تأبى الحروف بديلاً عن لمى قلمي ... فنبضها هو نبضي والمدادُ دمي
تعلقت ببراعي مذ صبا .. ولعاً ... بالشعر يغزلها بُرداً من القيم
أشعلتها كشموع أستضيء بها ... أطوف أرض بلادي جازماً قسمي
أن لا يساورني شك بعودتها ... إلى عروبتها في حالك الظلم
عشقت مسقط رأسي راعفاً طرقي ... فالبعد أضرم شوقي أيما ضرم
حرمت منه سنيناً .. كان يسكنني ... وكنت أسكنه بالروح والقلم
فلم يغب عن فؤادي رغم فرقتنا ... وظل يعصر جمر القلب كالديم
اسهبت في الخطو كي ألقاه محتسباً ... أخشى الأفول ولما يستقيه فمي
وها أنا اليوم عن بعد أناشده ... حباً وأشدوه .. مجتازاً صدى ألمي
أرى بعيني أحلامي مجسدة ... وأسأل الله أن ترقى ذرى القمم

أما المناسبة الثالثة والأهم فكانت حفل تكريم العالم الكبير ابن الفاضلية الفاضل الدكتور علي حسن نايفة بمناسبة فوزه بجائزة بنجامين فرانكلين في الهندسة الميكانيكية وهي أرفع جائزة تمنحها الولايات المتحدة لكبار العلماء والمبدعين على مستوى العالم.

فبمبادرة من جمعية شويكة للتنمية الاجتماعية،ومن نادي خريجي المدرسة الفاضلية ، واستجابة طيبة ،وتعاون صادق وبناء من الجامعة الأردنية ورئاستها ،أقيم مساء الخميس ٢٨ / ١١ / ٢٠١٣ حفل تكريم أنيق ورائق وجذاب للعلامة الفذ،والنابغة المعروف الدكتور على حسن نايفة،بمناسبة





فوزه بجائزة "بنجامين فرانكلين" في الهندسة الميكانيكية التي تمنحها الولايات المتحدة الأمريكية لكبار علماء العالم من أمثال انشتاين ومدام كوري .وهو أول عربي، لا بل العربي الوحيد الذي نال هذه الجائزة العالمية.

وشويكة بهذه المناسبة هي القرية التي كانت قريبة من مدينة طولكرم ثم أصبحت ضاحية من ضواحيها والتي ولد ونشأ فيها عالمنا الكبير، والفاضلية ،هي المدرسة الثانوية التي نهل من علم أساتذتها أربع سنوات وتخرج فيها.أما الجامعة الأردنية التي عرفت قدر عالمنا العظيم ومكانته العالمية العالية فقد أبت الا ان تفيد من علمه الغزير وخبراته الواسعة فاحتضنته عضواً في هيئة تدريسها تكريماً له، واحتراماً لعلمه وتقديراً لمكانته.

تضمن الحفل عدداً من الكلمات التي بدأها المهندس عادل مرعي رئيس جمعية شويكة، وأمين سر النادي وتلاه الدكتور أيمن المعايطة نائب رئيس الجامعة الأمريكية في مادبا، أحد طلاب المحتفى به،العارفين بقدره وفضله ،والذي تتلمذ عليه في جامعة اليرموك وفي جامعة فرجينيا فيما بعد ثم جاءت كلمة شقيق الدكتور علي الأستاذ الدكتور عدنان نايفه،وهو عالم أيضا في مجال الهندسة الميكانيكية والطيران،وكانت مفاجأه الحفل حين القى ثلاثة من أحفاد الدكتور علي كلمات بريئة ،معبرة ومؤثرة بحق جدهم العظيم ،وأعقب هؤلاء الثلاثة أبوهم الدكتور ماهر وهو النجل الأكبر للدكتور علي .ثم القى الأستاذ الدكتور اخليف الطراونه رئيس الجامعة الأردنية كلمة الجامعة،وكان مسك ختام هذه الكلمات كلمة دولة الدكتور عدنان بدران راعي الحفل.

وتبع هذه الكلمات عملية تكريم الدكتور نايفة حيث تسلم ثلاثة دروع تذكارية من :جامعة اليرموك ،الجامعة الأردنية فجامعة البتراء والتي قدمها رؤساء هذه الجامعات على التوالي،وهم د.عبدالله الموسي،د.اخليف الطراونه و د. عدنان بدران.

اما نادي خريجي المدرسة الفاضلية فقد كسر القاعدة وخرج عن ما هو متعارف عليه ومألوف، فاهدى للدكتور نايفة شهادة تفيد بغرس "٥" خمس شجرات زيتون باسمه في ساحة المدرسة الفاضلية ،وكذلك فعلت جمعية شويكة على أن يكون موقع الشجرات الخمس في حديقة مدرسة شويكة.

اجمع المتحدثون وأجملوا الصفات والسمات والخصال والفضائل التي جمعها الدكتور نايفه في شخصه فكونت شخصيته ،فهو يتمتع بذكاء نادر منذ طفولته الأولى ، جاد، مجد، مثابر،إرادته صلبة، وعزيمته قوية ،صبور وجَلِد، إيمانه ثابت ، وتصميمه راسخ،يعرف هدفه ويسعى لغايته. تحدى الظروف ، تجاوز الواقع،واجتاز الصعاب والموانع. تحدث جميعهم عن نبوغه المبكر،وعبقريته الواضحة،وموهبته أو مواهبه المتعددة. تحدثوا عن تميزه وتفرده،عن إنسانيته الطاغية،وعن تواضعه الجم وبساطته المتناهية عن مأثرة وفضائله، عن تضحياته وعطائه وانجازاته، وما حصل



عليه ووصل إليه من تقدير واحترام وتكريم خلال سيرته الطويلة العلمية منها والعملية .

أولئك هم ، اما انا فأضيف مستطردا ، أن كل تلك الصفات والسمات والمزايا والمآثر والفضائل التي اتى عليها المتحدثون وذكروها وأفاضوا فيها ، والثناء والإطراء ،والإعجاب والتقدير الذي أبدوه، لم يكن فيها أي مبالغة او تزيّد ،فهي كلها مجتمعة وربما سواها ،معها دون قامة هذا الرجل الاستثناء ،وذلكم العالم المبدع، ولا أدري والله كيف استطاع شخص فرد ان يجمع في نفسه كل هذه الصفات وتلكم الخصال إلا أن يكون أنسانا خارقاً او غير عادي.

فالبساطة هو عنوانها، والتواضع هو سيده ، والصدق والإخلاص ديدنه. في التفاني هو القدوة ، في العلم هو القمة،في الإبداع والابتكار هو الذروة. في العلماء هو العالم العلَم .في المعلمين هو المعلم،في العظماء هو العظيم ، في الكبارَ هو الكبير، في المفكرين هو في الطليعة وفي السادة المحترمين هو السيد المحترم.

هذه القامة الشامخة ،والقمة العالية ما كنت اقول فيها ما قلت ولا ذكرت عنها ما ذكرت ،وما أسعفني به القلم لحظة ان قررت ان لا أفوت هذه الفرصة الغالية النادرة كي أشارك في التعريف بهذا الرجل العظيم ،وافيه بعضاً من حقه ،وما قلته فيه قليل،وما تبقى لدي كثير .وعذري فيما قلت او ذكرت انه نابع من صميم فؤادي ،ومن عمق أحشائي،نابع من احترامي وتقديري له، وإعجابي به،ومن إيماني بصدق هذا الإنسان وتفانيه وإخلاصه ،هذا الإنسان الذي اذ هلتنا سيرته.

أقف في مدح هذا العالم الهرَم والثناء عليه عند هذا الحد حتى لا أتهم بالمغالاة والمبالغة، أو أُرمى بصفات وأوصاف أحاذر منها.

فلله درك ابا ماهر ، كم أنت رائع وجميل ،كم أنت شامخ وعظيم، كم أنت معطاء وكريم، كم أنت صادق وأمين ،كم أنت على خلق ودين ، كم أنت هادئ ووقور ، كم أنت بسيط ومتواضع ورزين.

الجائزة الكبرى اليك سعت،ولم تكن أنت من يسعى اليها ، كبُرت بك الجائزة ، ولم تكبر أنت بها ، انت الآن في محطة جديدة،واصل طريقك،واستمر في دربك ،فالعلماء والعظماء لا يعرفون التوقف ولا يستكينون للدعة والراحة ،فالعلم ان كان له أول فليس له آخر،والمعرفة ان كان لها مبتدى فهي وبكل تأكيد ليس لها منتهى.

هنيئا لك أبا ماهر ما حققت وأنجزت،وما اليه وصلت ،هنيئا لك لوالديك حيث هما ،ولتقرّ بك عيونهما ،هنيئا لأهلك ولذويك هنيئا لأبنائك وأحفادك ،هنيئا لنا نحن أصدقاؤك وأحباؤك،وهنيئا لكل العالَمين بك.

نوّر الله بالإيمان قلبك ،وأنار دربك ،وسدد على طريق الحق والخير خطاك. أمد الله في عمرك ،وحماك ورعاك ،وحفظك من كل أذى ومكروه، متعك الله بالصحة ،وأسبغ عليك العافية، وسلمت.

ع. حطاب

من أخبار النادي ونشاطاته

تسليم منح النـادي لطلبة مدرستي الفاضلية والعدوية عن عام ٢٠١٣

بحضـور مدير التربية والتعليـم في محافظة طولكـرم، الاستاذ يوسف عوده ،ومدير المدرسة الفاضلية الثانوية أ.محمد الشيخ، واعضاء الهيئة التدريسية في المدرسة الفاضلية في مدينة طولكرم واولياء امور الطلبة الحاصلين على منح دراسية من نادي خريجي الفاضلية ،قدّم المهندس عبد الفتاح الصويص عضو الهيئة الادارية للنادي "٢٥" خمسة وعشرين منحة دراسية من نادي خريجي الفاضلية للطلبة المتفوقين من المدرسة وممن تنطبق عليهم شروط الحصول على المنح.

وقد ثمّن مدير التربية والتعليم في المحافظة الاستاذ يوسف عوده جهود نادي خريجي الفاضلية في دعم المسيرة التعليمية في المدرسة ودعم التميز والابداع،وحث طلبة المدرسة على الجد والاجتهاد للحفاظ على اسم هذه المدرسة العريقة ،وشكر رئيس النادي الدكتور فتحي ابو عرجة واعضاء النادي على مبادراتهم الانسانية والهادفة .

وبدوره شكر مدير المدرسة الفاضلية أ. محمد الشيخ نادي الخريجين لدورهم الايجابي في تحفيز طلبة المدرسة على الجد والاجتهاد وتشجيع اولياء الأمور على المتابعة والاهتمام بالتحصيل الدراسي.

واما المهندس عبد الفتاح الصويص فقال : ان نادي خريجي الفاضلية الذي تأسس عام ٢٠٠٧ في الاردن من قبل مجموعة من خريجي المدرسة الفاضلية عام ١٩٥٥ من اهدافه دعم طلبة المدرسة الفاضلية المتفوقين ممن تنطبق عليهم شروط المنح،واضاف الصويص : ان عدد المنح لهذا العام "٢٥" خمسة وعشرون منحة منها "١٦" ست عشرة منحة لطلبة الثانوية العامة للعام الماضي و"٩" تسع منح لخريجي الثانوية العامة هذا العام،ودعا الصويص خريجي المدرسة الفاضلية الى دعم النادي لتبقى رسالته السامية في خدمة المتفوقين من طلبة المدرسة ،وايضا تقديم مبادرات وافكار لتطوير اداء النادي لخدمة المسيرة التربوية والمشاركة في تقديم مواد علمية وثقافية لمجلة صدى الفاضلية . كما دعا خريجي المدرسة الفاضلية المقيمين في الوطن للمساهمة وتقديم الدعم للنادي.

وفي وقت سابق كان الدكتور عبد اللطيف ابو شنب وبحضور مديرة المدرسة العدوية السيدة ماجدة القبج وعدد من اعضاء الهيئة التدريسية فيها واولياء امور الطالبات قام بتسليم "١٠" عشر طالبات من خريجات المدرسة العدوية اللواتي يواصلن تعليمهن في جامعات فلسطين المنح التي اقرها النادي لهن "٧" سبع منهن في مستوى السنة الثانية و"٣" ثلاثة في مستوى السنة الأولى .



فيما يلي آخر كشف بأسماء الذين تبرعوا بمنح دراسية لأبناء المدرستين "الفاضلية والعدوية بطولكرم ، وهو كشف معدل ومحدّث وقد قدم هؤلاء المانحون الذين بلغ عددهم "٦٥" خمسة وستون متبرعاً "٨٥" خمسة وثمانين منحة ، ونُتبع هذا الكشف بآخر يتضمن أسماء الطلبة الذين أفادوا من هذه المنح ويواصلون تعليمهم في جامعات فلسطين ،وقد بلغ عددهم حتى الآن "٤٠" أربعون طالباً وطالبة.

المانحون

الاسم	عدد المنح	اسم البلد	الاسم	عدد المنح	اسم البلد
م. إبراهيم حسن الخواجة	١	الإمارات العربية	م. عز الدين علاء الدين عاشور	١	الامارات العربية
د. إبراهيم يوسف حمدان	١	الأردن	د. عزام ابو بكر / عن زوجتة المرحوحة ازدهار العطعوط	٤	الولايات المتحدة
م. احمد لطفي عبد المجيد	١	الأردن	م. عزمي رباح السفاريني	١	الامارات العربية
م. احمد محمد بدوية	١	الأردن	م. عصام فايز سماره	١	الاردن
د. أحمد مفلح الحوراني	١	الاردن	علي عبد الغني العطعوط	١	الولايات المتحدة
م. أسامة محمد حسين علي	٢	الاردن	فاعل خير / احد ابناء الفاضلية	١	الاردن
م. اسعد محمد السفاريني	١	الاردن	فاعل خير / احد ابناء الفاضلية	١	الاردن
د. أكرم عبد اللطيف جراب	١	الاردن	فاعل خير / احد ابناء الفاضلية	١	الاردن
د.ة أمان نظمي السخن	١	الاردن	د. فتحي ابو عرجة	٥	الاردن
د. أمين احمد الجيوسي	١	قطر	فريد احمد السعدي	٢	الولايات المتحدة
امين عبد الرحمن سمارة	١	الاردن	ورثه زهير الكرمي	١	الاردن
د. باسل جاسر عموري	١	بريطانيا	لنا فتحي ابو عرجة	١	الاردن
م. باسم حسني زهراوي	١	السعودية	الطفلة.لجين عطعوط البلتاجي×	١	الولايات المتحدة
د. برهان ابراهيم غنايم	١	الولايات المتحدة	الماسة محمد ابو سماحه / زوجة رفيق السفاريني	١	الاردن
م. تيسير محمد ابو عرجه	١	الاردن	د. محمد القدومي (كلية الحرزمي)	١	الاردن
جليلة محمود عبد القادر	١	الولايات المتحدة	د. محمد سعيد حمدان عن المرحومة زوجته عهود مصطفى	١	الاردن
جمال ابراهيم الخليل	١	الاردن	م. محمد سعيد عبد الغني عرفة	٢	الاردن

× **لجين** : طفلة عمرها «٣» ثلاث سنوات فقط، وهي ابنة السيد وليد البلتاجي والسيدة هدى العطعوط اللذين طلبا تقديم منحة باسمها اسوة بجديها علي العطعوط وجليلة عبد القادر.

من أخبار النادي ونشاطاته

م. جمال حسني الخواجا	٢	الامارات العربية	محمد علي صيام	١	الاردن
د. جميل عبد اللطيف	٢	الولايات المتحدة	د. عدنان احمد الشيخ حسن	١	الاردن
د. حسام حسني حموده	١	الكويت	م. محمد فتحي خلف	٢	السعودية
د. حسني احمد السيد	١	الاردن	م. محمد محمود عبد القادر	٢	السعودية
حلمي مخيمر / ورثة	١	الاردن	م. محمود جميل ابو عقل	١	الاردن
حنان شريف القبج	٥	الاردن	م. محمود ابو خزنة	٢	الاردن
د. رسمي عبد القادر محمود	١	ايطاليا	المرحوم م. مروان الدحلة / الورثه	١	الاردن
رفيق محمد شفيق وزوجته سهام القبج	١	الاردن	د. مروان راسم كمال	١	الاردن
م. سامي عبد اللطيف نايفه	١	السعودية	م. مصطفى نصر بدر	١	الاردن
م. سليم عبد الرحمن حمدان	١	الاردن	د. معاذ نمر شقواره	١	الاردن
م. صبحي أحمد الفحماوي	١	الاردن	د. مفيد محمود عبد القادر	١	السعودية
د.صلاح الدين عمرو / مدارس الوطن العربي	٢	الاردن	منذر ابراهيم حمودة	٢	الاردن
م. عبد الحليم عبد الرحيم الموحد	١	الامارات العربية	د. موسى راسم كمال	١	كندا
د. عبد الكريم مصطفى التايه	١	الاردن	ندى عبد الغني العطعوط	١	السعودية
م. عبدالله عبد الرحيم الموحد	١	الامارات	د. يونس مصطفى شناعة	١	الاردن
عبدالله يعقوب	١	الامارات			



تحرص الهيئة الإدارية على لقاء أبناء الفاضلية المغتربين كلما سنحت الفرصة
من اليمين:
د. فتحي أبو عرجة ، عبد القادر حطاب، م.فتحي خلف ، هشام المكحل

اسماء الطلاب

الأسم	الجامعة	التخصص	الاسم	الجامعة	التخصص
أنس سمير عواد	جامعة النجاح	هندسة مدنية	مهند محمود ابو صفية	النجاح	هندسة كهربائية
اوس بسام صالح	فلسطين التقنية / خضوري	هندسة تكنولوجيا واتصالات	يوسف امين الهمشري	النجاح	طب بشري
حازم عوض قيسى	النجاح	هندسة مدنية	أحمد عوني أبو سعن	النجاح	هندسة إتصالات
خالد محمد جوابرة	فلسطين التقنية / خضوري	هندسة ميكاترونكس	احمد محمد بدر	النجاح	هندسة مدنية
سامي ايهاب غزاله	النجاح	طب	بشار باسم سعاده	النجاح	هندسة
ضياء عبد الفتاح عياش	القدس	طب اسنان	بشار عبد الحكيم جراد	النجاح	طب
طاهر نضال الجيوسي	النجاح	هندسة مدنية	بشير حسن بعباع	القدس	طب
عبد الكريم غسان ابو اتقيوي	جامعة القدس	طب اسنان	خالد نصر الله جراد	النجاح	هندسة
علي عدنان بدر	بير زيت	هندسة ميكانيكية	سليمان يزيد خريشي	النجاح	طب
عمر بسام ابو زينه	النجاح	طب	عمر محمود عبد اللطيف	القدس	طب
فهد اسامه ياسين	النجاح	هندسة ميكانيكية	محمد عمر عبد الحافظ	القدس	طب
كرم شوقي نعالوه	النجاح	طب	هشام معين صالح	النجاح	هندسة مدنية
مالك محمد طه	النجاح	هندسة	وسيم ابراهيم ابو جاموس	فلسطين التقنية / خضوري	هندسة
محمد زياد شلبي	النجاح	هندسة مدنية	وهيب عبد الجبار الضميري	النجاح	طب
محمد طلعت الضميري	النجاح	هندسة مدنية			

اسماء الطالبات

الأسم	الجامعة	التخصص	الاسم	الجامعة	التخصص
انسام زياد الشوابكة	النجاح	طب	هديل احمد الصويص	القدس	طب بشري
تقوى فيصل عبدالله	النجاح	دكتور / صيدلة	رشا سهيل حطاب		طب بشري
جميلة بلال السيد	النجاح	هندسة معمارية	رغد جمال الدعاس	النجاح	طب بشري
ساره «محمد معين» بعاره	النجاح	هندسة معمارية	نور احمد نبريصي	النجاح	طب بشري
شيماء محمود مصطفى	النجاح	هندسة معمارية	يارا مصطفى قزمار	النجاح	طب بشري
رؤى غسان اتقيوي	النجاح	طب			

من أخبار النادي ونشاطاته

بعث رئيس النادي الدكتور فتحي أبو عرجة برسالة إلى رئيس بلدية طولكرم المهندس إياد الجلاد هذا نصها:

سعادة رئيس بلدية طولكرم المحترم **عمان في ٢٠١٣/١٢/٤**

الموضوع: اطلاق اسم الدكتور علي نايفه على احد معالم مدينة طولكرم

تحية طيبة وبعد،،،

فلعلّكم عَلمتم بأن العالم العربي الدكتور علي حسن نايفة، ابن قرية شويكة ،وابن مدينة طولكرم ،وابن المدرسة الفاضلية الأبر، قد حصل هذا العَام على جائزة بنجامين فرانكلن في الهندسة الميكانيكية،وهي أعلى جائزة تمنحها الولايات المتحدة الأمريكية لكبار علماء العالم تقديراً لهم ،واعترافاً بجهودهم وعطائهم،وما قدموه للبشرية والإنسانية جمعاء،ولما أنجزوه على مستوى العالم ،كل في حقل اختصاصه.

وهذه الجائزة لا تقل في قدرها وقيمتها ومستواها وأهميتها عن جائزة نوبل في العلوم.

ونحن أعضاء نادي خريجي المدرسة الفاضلية إذ نفخر ونفاخر ،وهذا من حقنا،بما أنجزه عالمنا العظيم ،ابن مدرستنا،مدرسة الفاضلية ،لأوْلى الناس بالاحتفاء بهذا الرجل النابغة الفذ ، الذي قد لا يجود الزمان بمثله،وان نحتفل به،ونتباهي ونباهي بعبقريته الدنيا.

ان الهيئة الإدارية لنادي خريجي المدرسة الفاضلية ترى ان من حق هذا الهرم العلمي الشامخ علينا، لا بل من واجبنا نحوه ،ان نعترف بفضله وقدره ومكانته ،ونفيه بعضاً من حقه ،وان نكرمّه ونخلّد اسمه وتاريخه كأعظم رجل أنجبته بلادنا ،فنطلق اسمه على احد المعالم المهمة في مدينة طولكرم :كأحد الشوارع الرئيسة، أو الميادين العامة، أو المدارس الكبيرة ،او المستشفيات.... الخ وبذلك نكون قد أسهمنا ،ولو بقدر يسير، في تقدير عالم من علمائنا،ومبدع من مبدعينا،وعَلَم من أعلامنا.

حبذا لو تكرمتم باتخاذ ما ترونه من إجراءات رسمية ،وخطوات عملية لتحقيق هذه الغاية، واعلامنا بما يتم في هذا الصدد، كي نقوم بنشر هذا الانجاز ونعممه على أعضاء النادي وأصدقائهم ،وعلى كل الذين يهتمون بهذا الأمر.

اشكر لكم اهتمامكم واستجابتكم، والسلام عليكم،،،

رئيس الهيئة الإدارية
د.فتحي أبو عرجه



